دراسات في القرآن وتفسيره

الجزء الأول

أ.د. بدر بن ناصر البدر

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

Twitter: @almosahm

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر، بدر ناصر

دراسات في القرآن وتفسيره (الجزء الأول)/ بدر ناصر البدر- الرياض١٤٣١هـ

٠٠ص ؛ ٠٠ سم

ردمك: ٩- ٨٩٠- ٥١- ٩٩٦٠- ٩٧٨

١- الوقف ٢- القرآن -مباحث عامة أ- العنوان

ديوي ٢٥٣,٩٠٢ ١٤٣١/٩٥٣٧

رقم الإيداع: ١٤٣١/٩٥٣٧هـ

ردمك: ٩- ٨٩٠- ٥١- ٩٩٦٠- ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤

المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

Twitter: @almosahm

نداء الله نبيه الكريم في آي الذكر الحكيم [١]

(١) بحث محكم منشور في مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، العدد: (٦١) سنة ١٤٢١هـ.

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

المقدمة

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن الله عز وجل قد أنعم على هذه الأمة وامتنَّ عليها بأن أرسل إليها أفضل رسله وخيرته من خلقه وأنزل عليه القرآن الكريم هدى ونوراً، ضياءً وشفاءً، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

بعثه الله عز وجل بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، وجعله رحمته المهداة ونعمته المسداة، ففتح الله به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً وآذاناً صماً، أنار به الطريق وأوضح به المحجة، وأوجب على الأمة محبته وطاعته واتباع سنته وألا يُعبد جل وعلا إلا بما شرع. وقد بذل – عليه الصلاة والسلام جهده ووقته وما يملك في بيان الدين ودعوة الناس إليه، حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

Twitter: @almosahm

وقد عظم الله عز وجل منزلة رسوله – عليه الصلاة والسلام – عنده وأعلى قدره، وخصه بفضائل ومحاسن تدل على شرفه ورفعة مكانته، وأثنى عليه بها وأثابه عليها الجزاء الأوفى، وإن العلم بما خصه الله به من الفضائل الكريمة والمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة ليغرس في القلوب محبته والإيمان به، ويوجب على الأمة طاعته والتمسك بسنته، والسير على نهجه واقتفاء أثره، والتحاكم إليه وإلى سنته في كل شأن من شؤون الحياة، عن إيمان راسخ وحب صادق، يقول تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

وفي القرآن الكريم آيات بينات دالة على عظيم قدره وعلو منزلته عند ربه جل وعلا، منها أن الله عز وجل نادى أنبياءه بأسمائهم، أما هو فقد ناداه بوصفه الشريف «الرسول» في موضعين من القرآن، و«النبي» في ثلاثة عشر موضعاً، وناداه بوصف مشتق من حالته التي كان عليها «المزمل»، «المدثر» لطفاً به وتأنيساً له وشفقة عليه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

Twitter: @almosahm

فجاء هذا البحث لدراسة هذه الآيات الكريمات التي تضمنت نداءه – عليه الصلاة والسلام – وما فيها من أحكام شرعية وأسباب نزول، وذكر أقوال المفسرين في معانيها والمراد بها وما اشتملت عليه من نكات بلاغية ولطائف أسلوبية، دالة على سمو مكانته وعلو مرتبته عند الله عز وجل، وجعلت عنوانه: «نداء الله نبيه الكريم في آي الذكر الحكيم». وقد سرت في كتابته حسب الخطة التالية:

- مقدمة.
- تمهيد وفيه مبحثان.
- المبحث الأول: رفعة قدره – عليه الصلاة والسلام – عند ربه عز وجل.
- المبحث الثاني: النداء في القرآن.
- الفصل الأول: أساليب نداء الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام.

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: النداء بصفة الرسالة.
- المبحث الثاني: النداء بصفة النبوة.
- المبحث الثالث: النداء بصفات أخرى.

Twitter: @almosahm

- المبحث الرابع: ما قيل إنه نداء للنبي ﷺ وهو ليس كذلك.
- الفصل الثاني: ما يعقب نداءه – عليه الصلاة والسلام – والمعاني التي تضمنها.

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: ما يعقب النداء في القرآن.
- المبحث الثاني: ما يعقب نداءه – عليه الصلاة والسلام – في القرآن.
- المبحث الثالث: المعاني التي تضمنها نداؤه – عليه الصلاة والسلام – في القرآن.
- الفصل الثالث: خصائص نداء النبي ﷺ في القرآن.

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: نداؤه – عليه الصلاة والسلام – بالوصف لا باسمه العلم.
- المبحث الثاني: التزام ندائه – عليه الصلاة والسلام بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾.
- المبحث الثالث: الفرق بين ندائه – عليه الصلاة والسلام – والإخبار عنه.

- **الخاتمة:**

Twitter: @almosahm

- ثبت المصادر والمراجع.

وقد قمت في هذا البحث بعزو الآيات إلى سورها وتخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها بكلام أئمة العلم في ذلك، ووثقت الأقوال بعزوها إلى مصادرها وتركت تراجم الأعلام خوفاً من إطالة البحث مما هو عليه الآن.

أسأل الله عز وجل التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

رفعة قدره – عليه الصلاة والسلام – عند ربه عز وجل:

لقد منَّ الله عز وجل على هذه الأمة بأن أرسل إليهم أفضل رسله وخيرته من خلقه، سيد الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعالمين والمخصوص بالشفاعة العظمى يوم الدين، إمام الأنبياء وخاتم الرسل – عليهم السلام – صاحب اللواء المعقود والحوض المورود والمقام المحمود، هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة، بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، فألزم جميع الخلق الإيمان به وطاعته واتباع سنته واقتفاء أثره إلى يوم الدين.

اصطفى الله سبحانه نبينا محمداً ﷺ من خلقه وأعلى قدره وعظم منزلته، وفضله على خلقه، وخصه بفضائل لم تكن لغيره، وكرمه بخصائص انفرد بها ﷺ عن غيره من الأنبياء والرسل – عليهم السلام – فمما جاء في القرآن مما يدل على عظيم قدره ورفعة منزلته عند ربه.

Twitter: @almosahm

- أن الله عز وجل أخذ العهد له على جميع الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – إن بعث هو – عليه الصلاة والسلام – وهم أحياء أو أحد منهم وجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه، وأن يأخذوا هذا العهد على جميع أممهم إن بعث – عليه الصلاة والسلام – وجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[1].

قال بعض المفسرين: «ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه»[2].

- أنه – عليه الصلاة والسلام – أول المسلمين وخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣٧٨.

Twitter: @almosahm

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [٢]، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**» [٣].

- كونه – عليه الصلاة والسلام – منة الله عز وجل على عباده، فلا هداية لهم إلا على يديه وعن طريقه الداعي إليه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [٤].

- أن طاعته ومبايعته – عليه الصلاة والسلام – هي طاعة

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح – كتاب المناقب – باب خاتم النبيين ﷺ ٦/ ٥٥٨، برقم: ٣٥٣٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه – كتاب الفضائل – باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين: ٧/ ٦٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

Twitter: @almosahm

الله عز وجل ومبايعته، وقرن بين طاعته سبحانه وطاعة رسوله – عليه الصلاة والسلام – وجعل اتباعه – عليه الصلاة والسلام موجباً لمحبته سبحانه، والأدلة على هذه كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (٤).

- أن الإيمان به – عليه الصلاة والسلام – مقرون بالإيمان بالله تعالى، فلا يصح إيمان من لم يؤمن برسول الله ﷺ وإن ادعى الإيمان بالله تعالى، بل لا بد من وجود الإيمان بالله تعالى والإيمان برسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (٥)، وقال

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

Twitter: @almosahm

تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [٢].

- أن الله جعله رحمة مهداة للعالمين مؤمنهم وكافرهم، كما جعله رؤوفاً رحيماً بأمته خاصة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [٣]، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [٤].

- أن الله عز وجل جعل وجوده – عليه الصلاة والسلام – بين أمته أمنةً لهم من العذاب والهلاك، بخلاف ما حصل لبعض الأمم السابقة حيث عُذب بعضهم وأُهلك آخرون مع وجود أنبيائهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [٥].

- أن الله عز وجل جعل رسالته – عليه الصلاة والسلام –

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

Twitter: @almosahm

عامة لكل الناس، بخلاف ما كان عليه الأنبياء والرسل السابقون – عليهم وعليه الصلاة والسلام – فقد كانوا يرسلون إلى أقوامهم خاصة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (٢)، وعن جابر – رضي الله عنه – عنه ﷺ قال: «**أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى كل أحمر وأسود** – وفي البخاري – **وبعثت إلى الناس عامة – وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجُعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونُصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأُعطيت الشفاعة**» (متفق عليه واللفظ لمسلم) (٣).

- أن الله عز وجل تكفل بحفظه وعصمته، كما كفاه المستهزئين فلا يصلون إليه، وتكفل أيضاً بحفظ دينه من التبديل والتحريف، ليكون باقياً سليماً معجزاً، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب «التيمم»، الباب الأول: ١/ ٤٣٥، برقم: ٣٣٥، ورواه مسلم في صحيحه «كتاب المساجد ومواضع الصلاة»، ٢/ ٦٣.

Twitter: @almosahm

﴿ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٣).

- القسم بحياته، ولا يعرف هذا لغيره من الأنبياء، قال تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٤).

كما أن الله تعالى أقسم له ﷺ وهذه غاية التعظيم والتقدير، قال تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥).

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (٦).

- أن الله عز وجل غفر له – عليه الصلاة والسلام – ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو حي صحيح يمشي على الأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٧٢.

(٥) سورة الضحى، الآيات: ١-٥.

(٦) سورة النجم، الآيات: ١-٤.

Twitter: @almosahm

مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ (١).

- شهادة الله عز وجل وملائكته له ﷺ أنه أنزل عليه الكتاب بالحق وأنه المرسل للناس كلهم، كما قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣).

- أن الله عز وجل لم يناده باسمه كما نادى غيره من الأنبياء وإنما ناداه بوصفه الشريف «الرسول» أو «النبي»، أو ما هو مشتق من حالته التي كان عليها وهما «المزمل»، «المدثر».

وهذا هو محل الدراسة في هذا البحث، لبيان معاني الآيات التي تضمنت نداء الله عز وجل إياه وتفسيرها ومعرفة الأحكام التي تضمنتها، وما اشتملت عليه من نكات بلاغية ولطائف بيانية وأسرار أسلوبية.

(١) سورة الفتح، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

Twitter: @almosahm

المبحث الثاني:

النداء في القرآن الكريم

للنداء مكانة بارزة في اللغة، فله دوره في الحياة البشرية ووظيفته في التواصل بين الناس، إما للحوار بينهم وإما لأغراض أخرى تفهم من السياق، وافتتاح الكلام بالنداء دليل على الاعتناء بما سيلقى على المخاطب، وكأنه يعد نفسه ويهيؤها لتلقي ما يقال له.

وتعريفه - كما يقول النحويون: «هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء، ملفوظاً كان حرف النداء أو ملحوظاً» (١).

وحروفه ثمانية: الهمزة المقصورة مثل: أمحمد، الهمزة الممدودة مثل: آمحمد، أي المقصورة، آي الممدودة، يا، أيا، هيا، وا، وتستعمل في الندبة لا غير.

و(يا) أكثر حروف النداء استعمالاً، وقد ذكر بعض العلماء أنه لم يأت في القرآن نداء بغير يا، ولذلك لا يقدر غيرها من حروف النداء عند الحذف، قال ابن إياز: «القرآن المجيد مع كثرة النداء

---

(١) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ١٦٣.

Twitter: @almosahm

فيه لم يأت فيه نداء بغير (يا)» [(١)] ، وذكر نحوه ابن هشام [(٢)] .

لكن ذكر الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة آيتين، احتملت بعض القراءات فيها أن تكون الهمزة للنداء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [(٣)]، حيث قرأ ابن كثير ونافع وحمزة (آمن) بتخفيف الميم، وقرأ الباقون بتشديدها [(٤)] .

قال الفراء: «وفسروها، يريد: يا من هو قانت، وهو جه حسن. العرب تدعو بألف كما تدعو بيا، فيقولون: يا زيد أقبل وأزيد أقبل» [(٥)] .

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [(٦)]، حيث قرأ طلحة (أمن) بغير فاء، قيل: «يجوز أن تكون بمعنى حرف النداء» [(٧)] .

لكن رد هذا والذي قبله بأنه ليس في التنزيل نداء بغير يا، ولا يخلو من تكلف وكثرة حذف.

---

(١) ينظر: الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي: ٢/ ١٣١.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٤) ينظر: كتاب السبعة ٥٦١، التبصرة في القراءات السبع ٦٥٨، النشر ٢/ ٣٦٢.

(٥) معاني القرآن: ٢/ ٤١٦.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٧) ينظر: البحر المحيط: ٧/ ٣٠١.

Twitter: @almosahm

ويرى بعض الباحثين أن السر في إيثار القرآن لحرف النداء (يا) هو «أن هذه الأداة الوسيلة الطبيعية في النداء، إذ هي أكثرها استعمالا عند الخاصة العامة؛ ولأنها أم الباب، ولأنها أخف أحرف النداء في النطق؛ لأنها تبدو في خفة حركتها كأنها صوت واحد، لانطلاق اللسان بها دون أن يستأنف عملاً»[(١)]، وقد ذكر الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة أنه بعد استقراء الآيات التي ورد فيها النداء ظهر له ما يلي:

١- نادى الله تعالى جميع أنبيائه ورسوله بأسمائهم، ونادى نبينا محمداً ﷺ بوصفه الشريف، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

٢- المنادى المضاف هو أكثر الأنواع في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾[(٢)].

٣- جاء نداء النكرة المقصودة في بضع مواضع، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾[(٣)]، أما نداء النكرة غير المقصودة فقد جاء في موضع واحد على الاحتمال،

---

(١) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢/ ٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٤.

Twitter: @almosahm

وكذلك نداء الشبيه بالمضاف جاء في موضع واحد على الاحتمال، وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ ﴾ [(١)]، فإنه محتمل لهما ولغيرهما.

٤- الكثير في القرآن حذف (يا) النداء مع نداء (رب)، وقد ذكرت (يا) في موضعين، هما قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾ [(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ ﴾ [(٣)]، وحذفت (ياء) في نداء الرب في خمسة وستين موضعاً.

٥- وقع المنادى بالياء في أثناء الجملة وفي ختامها، كقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [(٤)]. وكقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ ﴾ [(٥)] [(٦)].

---

(١) سورة يس، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٨.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

(٥) سورة طه، الآية: ٩٥.

(٦) دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ١/ ٣، ٦٢٤، ٦٢٥.

Twitter: @almosahm

إن النداء له وجوهه البلاغية وأسراره الأسلوبية، يتبين ذلك فيما يلي:

١) في النداء إقامة علاقة مع شخص آخر، إما للحوار معه وإما لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام.

٢) فيه حث على الاهتمام بموضوع الكلام ودعوة للتبصر فيه، مما يعطي المضمون قيماً رمى إليها المنادى، قال العز بن عبدالسلام: «النداء تنبيه للمنادى ليسمع ما يلقى إليه بعد النداء من الكلام ليعمل بمقتضاه، ولذلك كثر النداء في القرآن»[(١)].

٣) فيه توجيه الأنظار إلى المنادى وتركيز الاهتمام حوله.

٤) أن فيه ضرباً من الإيجاز واختصاراً للكثير من الكلام.

٥) أن فيه تلويناً للكلام والتفاتاً بليغاً يرغب في استمالة المخاطب، ويبعث الاطمئنان في نفس السامع[(٢)].

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومما ورد في القرآن:

---

(١) ينظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ص٣٣٣.

(٢) ينظر: النداء في اللغة والقرآن: ١٦٠، ١٦١.

Twitter: @almosahm

١- إظهار التحسر، كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ (١).

٢- الإهانة، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾ (٢).

٣- إظهار الشفقة والعطف، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ (٣).

٤- التأنيس والتلطف، كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، وغير ذلك.

❐❐❐

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣١.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٥١.

(٣) سورة الصف، الآية: ٥.

Twitter: @almosahm

الفصل الأول:
أساليب نداء الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

المبحث الأول:

النداء بصفة الرسالة

جاء في آيتين:

١- قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

جاء في سبب نزول الآية أقوال منها:

أولاً: عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: «مُرّ على النبي ﷺ بيهودي محمماً [2] مجلوداً فدعاهم ﷺ، فقال: «**هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم**»، قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «**أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على**

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) محمماً: مسوداً وجهه بالفحم، القاموس (حمم) ٤/ ١٠١.

Twitter: @almosahm

موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم»؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم.

فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم**»، فأنزل الله عز وجل: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ يقول: ائتوا محمداً ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [(١)]، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [(٢)]، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [(٣)]، في الكفار كلها» [(٤)].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

(٤) رواه مسلم مع شرح النووي في صحيحه «كتاب الحدود» باب حد الزنا، ١١/ ٢٠٩، ٢١٠.

Twitter: @almosahm

ثانياً: أنها نزلت في أقوام من اليهود قتلوا قتيلاً، وقالوا: تعالوا نتحاكم إلى محمد، فإن حكم بالدية فاقبلوه، وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه [(١)]، قاله ابن عباس.

ثالثاً: أنها نزلت في أبي لبابة بن عبدالمنذر بقوله لبني قريظة حين حاصرهم النبي ﷺ: «**إنما هو الذبح فلا تنزلوا على حكم سعد**» قاله السدي [(٢)]، والصحيح القول الأول.

في هذه الآية نداء من الله عز وجل لنبيه – عليه الصلاة والسلام بـ ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾، تشريفاً له ورفعة لقدره وبياناً لعلو منزلته، حيث لم يناده باسمه العلم، وفي هذا تعليم وتأديب للمؤمنين، يتضمن النهي عن مخاطبته باسمه، والأمر بأن يخاطبوه بوصفه، وهكذا كان يدعوه الصحابة. ولما جهل هذا الأدب بعض الأعراب لما كانوا عليه من خشونة البادية وجفائها فكانوا ينادونه باسمه (يا محمد) أنزل الله عز وجل: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [(٣)] .. الآية [(٤)].

وقد نهى الله عز وجل رسوله ﷺ في هذه الآية عن الحزن والأسى

---

(١) ينظر: جامع البيان ٦/ ١٥٠، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٥٨، الدر المنثور ٣/ ٧٤، ٧٥.

(٢) ينظر: جامع البيان ٦/ ١٤٩، ١٥٠، الدر المنثور ٣/ ٧٨.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٤) ينظر: لباب القول ١٦٢، التفسير الكبير: ١١/ ٢٣٨، البحر المحيط: ٣/ ٤٨٧.

Twitter: @almosahm

على كفر هاتين الطائفتين، المنافقين ﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾[1]، أي: أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، فإن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبغ به بدلا.

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾، أي: اليهود ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾، أي: مستجيبون ومقلدون لرؤسائهم وأئمتهم، المبني أمرهم على الكذب والضلال والغي، وهؤلاء الرؤساء والأئمة المتبعون ﴿ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ بل أعرضوا عنك، وفرحوا بما عندهم من الباطل، ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾، أي: يتأولونه على غير تأويله الحق، ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾، أي: يقول بعضهم لبعض: إن حكم لكم محمد بهذا الحكم الذي يوافق هواكم فاقبلوا حكمه، وإن لم يحكم لكم به فاحذروا أن تتبعوه على ذلك.

وقوله: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[2]، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.

Twitter: @almosahm

فلذلك صدر منهم ما صدر من اتباع الهوى والإعراض عن الحق، ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ أي: فضيحة وعار، ﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، أي: النار وما فيها [(١)] .

٢- قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٢)] .

جاء في سبب نزول هذه الآية أقوال منها:

أولاً: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي ﷺ فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجر، فبينما هو نازل تحت شجرة وقد علق السيف عليها إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة، ثم دنا من النبي ﷺ وهو نائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال النبي ﷺ: «الله»، فأنزل الله عز وجل: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٣)] .

---

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٥٨، ٥٩، تفسير التحرير والتنوير: ٦/ ١٩٤، ١٩٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) رويت هذه القصة بألفاظ متقاربة في: جامع البيان ٦/ ١٩٨، ١٩٩، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ١٩، الدر المنثور، ٣/ ١١٩، ١٢٠، وقد حسن الشيخ مقبل الوادعي إسناد هذه الرواية بهذا اللفظ في الصحيح المسند من أسباب النزول: ٦٠.

Twitter: @almosahm

ثانياً: عن عائشة – رضي الله عنهما – قالت: «سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقلت: يا رسول الله ما شأنك؟ قال: «**ألا رجل صالح يحرسنا الليلة**»؟ فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح، فقال: من هذا؟ قال سعد وحذيفة: جئنا نحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه، ونزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبة أدم، وقال: «**انصرفوا يا أيها الناس، فقد عصمني الله**» (١).

ثالثاً: ما رواه الحسن البصري ومجاهد وابن جريج: أن النبي ﷺ كان يهاب قريشاً ويخشى تكذيبهم إياه، فأنزل الله هذه الآية (٢).

في هذه الآية نادى ربنا عز وجل نبيه ﷺ بوصفه ﴿ ۞ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ** ﴾، ثم أمره بتبليغ ما أُنزل إليه، فكان نداؤه بهذا الوصف في غاية المناسبة، حيث اصطفاه الله عز وجل وشرفه وأعلى قدره، وحمَّله تبليغ هذا الدين ودعوة الناس إليه، معتصماً به سبحانه، واثقاً بنصره وإعانته، معرضاً عما سواه.

---

(١) جاء الحديث بهذا اللفظ في أسباب النزول للواحدي ٢٣٣، ٢٣٤، ورواه الطبري مختصراً في تفسيره ٦/ ١٩٧، وكذا الحاكم في المستدرك «كتاب التفسير» ٢/ ٣١٣، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، والحديث في صحيح مسلم كتاب «فضائل الصحابة – رضي الله عنهم» باب فضل سعد بن أبي وقاص ٧/ ١٢٤، لكن بدون ذكر نزول الآية.

(٢) ينظر: جامع البيان ٦/ ١٩٨، أسباب النزول للواحدي ٢٣٢، ٢٣٣، الدر المنثور: ٣/ ١١٦، ١١٧.

Twitter: @almosahm

والمراد بقوله: ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ الديمومة في ذلك وألا يتوقف عند أي عارض، غير مراقب في ذلك أحداً، ولا خائف أن يناله مكروه أبداً [١].

قال ابن عاشور: وفي الإتيان بمضير المخاطب في قوله: ﴿ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ إيماء عظيم إلى تشريف الرسول ﷺ بمرتبة الوساطة بين الله والناس، إذ جعل الإنزال إليه ولم يقل إليكم أو إليهم، كما قال في آية آل عمران: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ [٢]، وقوله: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [٣]. وفي تعليق الإنزال بأنه من الرب تشريف للمنزل.

والإتيان بلفظ الرب هنا دون اسم الجلالة؛ لما في التذكير بأنه ربه من معنى كرامته، ومن معنى أداء ما أراد إبلاغه كما ينبغي من التعجيل والإشاعة، والحث على تناوله والعمل بما فيه.

وقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [٤]، أي: إذا لم تبلغ جميع ما أنزل إليك، فتركت بعضه لم تكن مبلغاً رسالته؛ لأن كتمان البعض مثل كتمان الجميع في الاتصاف بعدم التبليغ، وجاء

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ١٥٤، ١٥٥، البحر المحيط: ٣/ ٥٢٨، روح المعاني: ٦/ ١٨٨، تفسير التحرير والتنوير ٦/ ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

Twitter: @almosahm

الشرط بـ(إن) التي شأنها في كلام العرب عدم اليقين بوقوع الشرط؛ لأن عدم التبليغ غير مظنون به ﷺ وإنما فرض هذا الشرط ليبنى عليها الجواب، وهو قوله: ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ، افتتح باسم الجلالة للاهتمام به؛ لأن المخاطب والسامعين يترقبون عقب الأمر بتبليغ كل ما أنزل إليه أن يلاقي عنتاً وتكالباً عليه من أعدائه، فافتتح تطمينه بذكر اسم الله؛ لأن المعنى هذا ما عليك، وأما ما علينا فالله يعصمك، والعصمة هنا: الحفظ والوقاية من كيد أعدائه، وقد جاء الوعد بها في القرآن أيضاً، قال تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (١)(٢).

وقد يقال: أين ضمان العصمة وقد شج وجهه – عليه الصلاة والسلام – في غزوة أحد وكسرت رباعيته (٣) ؟

قيل: المراد أنه يعصمه من القتل وأما ما دون ذلك من أنواع الأذى فذلك مما ناله – عليه الصلاة والسلام – ليكون قدوة وأسوة لأمته.

وفيه التنبيه على أنه يجب عليه أن يتحمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء، وقيل: إن الآية نزلت بعد يوم أُحد (٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٦/ ٢٥٩، ٢٦٢، بتصرف.

(٣) روى ذلك البخاري في صحيحه مع الفتح، كتاب: «المغازي» باب قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ ، ٧/ ٣٦٥، ومسلم في صحيحه – كتاب الجهاد والسير – باب غزوة أحد: ٥/ ١٧٨، ١٧٩.

(٤) ينظر: الكشاف ١/ ٦٣١، التفسير الكبير: ١٢/ ٥٣، تفسير التحرير والتنوير: ٦/ ٢٥٧.

Twitter: @almosahm

وقد أعيد افتتاح الخطاب لنبينا ﷺ بوصف الرسول إشعاراً بمنتهى شرفه، ولهذا الوصف في هذا الخطاب الثاني موقع زائد على موقعة في الخطاب الأول [١] ، فكما ثبت جنانه بالخطاب الأول ألا يهتم بمكائد أعدائه ومسارعتهم في الكفر وإعراضهم عنه، حذر بالخطاب الثاني من ملاينتهم في إبلاغهم قوارع القرآن وأحكامه وشرائعه، خشية إعراضهم أو أذاهم [٢] .

وهنا ذكر بعض الباحثين: أنه يتجه النداء في القرآن الكرم إلى رسولنا – عليه الصلاة والسلام – بصيغة (يا أيها الرسول) حينما يكون الحديث عن رسالته العامة، أو عما يعترضها من معوقات، وذلك كما في هاتين الآيتين، ويتجه النداء بصيغة (يا أيها النبي) فيما عدا الحالين السابقين ذكرهما، وذلك حينما يكون الغرض توجيه الرسول – عليه الصلاة والسلام – في شأن عام أو خاص به وبأهله، وذلك في ثلاث عشرة آية [٣] .

❑❑❑

---

(١) وهو قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٦/ ٢٥٧.

(٣) ينظر: مجلة كلية اللغة العربية العدد الثامن ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، نداء المخاطبين في القرآن أسراره وبلاغته للدكتور علي عبدالواحد وافي ٩١.

Twitter: @almosahm

المبحث الثاني:

النداء بصفة النبوة

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ ﴾ [(١)]، في هذه الآية نداء للنبي ﷺ بوصف النبوة إشعاراً برفعة قدره وعلو منزلته، واعتناء بمضمون الخطاب وما يدل عليه من أوامر وتعاليم عظيمة، مهد لقبولها وتسهيلها بما سبق في السورة من التذكير بعجيب صنع الله والامتنان بعنايته برسوله والمؤمنين، وأن الفلاح والخير في طاعة الله عز وجل وطاعته [(٢)].

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن الله كافيك وحافظك وناصرك ومؤيدك وكافي أتباعك المؤمنين وناصرهم فلا تحتاجون مع الله إلى أحد، وهذا قول جمهور السلف والخلف، وهو اختيار المحققين من أهل العلم [(٣)]،

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٢) ينظر: روح المعاني ١٠/ ٣٠، تفسير التحرير والتنوير ١٠/ ٦٥.

(٣) ينظر: جامع البيان ١٠/ ٢٦، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢٩٣-٣٠٦، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣٢٤، المفردات ١١٧.

Twitter: @almosahm

وهذا القول هو مقتضى كمال التوحيد، وهو كفاية الله له ولهم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [(١)]، فالحسبلة مقتضى التوكل، وإنما يكون التوكل على الله وحده، كما قال لنبيه: ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [(٢)]، أي: عليه وحده، بدلالة تقديم الظرف، ومثله في هذا الحصر آيات كثيرة [(٣)].

الثاني: أن المعنى: حسبك الله، وحسبك من اتبعك من المؤمنين، فإن الله ينصرك بهم، وهذا قول مرجوح لما سبق [(٤)].

٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [(٥)].

تكرر النداء مرة أخرى لنبينا ﷺ على هذا الوجه؛ تكريماً له ورفعة لقدره، وللتنويه بشأن الكلام الوارد بعد النداء، وإظهاراً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٣) ينظر: تفسير المنار ١٠/ ٧٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٥١٥، ٥١٦، تفسير التحرير والتنوير ١٠/ ٦٥، تفسير المنار ١٠/ ٧٥، فتح المجيد ٣٦٣.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

Twitter: @almosahm

لكمال الاعتناء بشأن المأمور به، وهو المبالغة في الحث على القتال[١]

خر لا يؤمن بالمعاد، والسعادة عنده ليست إلا هذه الحياة الدنيا فيشح بها، ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب، فيميل إلى ما فيه السلامة فيفر فيغلب، وأما من اعتقد أن لا سعادة في هذه الحياة الفانية، وإنما السعادة في الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا، ولا يلتفت إليها، فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح، فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير[٢].

ثم نسخ هذا الأمر في الآية بالآية التي بعدها، قال تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[٣].

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ ﴾[٤] شق ذلك على المسلمين، حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ

---

(١) ينظر: روح المعاني ١٠/ ٣٠، تفسير التحرير والتنوير ١٠/ ٦٦.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٠/ ٢٧، التفسير الكبير ١٥/ ١٩٩، روح المعاني ١٠/ ٣٠، ٣١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

Twitter: @almosahm

﴿ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [١]، قال: «فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم» [٢].

٣- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [٣].

هذه الآية والتي تليها: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [٤]، متممتان للكلام في أسرى بدر، حيث أمر النبي ﷺ أن يرغبهم في الإسلام وبيان ما فيه من خيري الدنيا والآخرة، وبتهديدهم وإنذارهم على بقائهم على الكفر وخيانته ﷺ، ويتضمن ذلك البشارة بحسن العاقبة والظفر له ولمن اتبعه من المؤمنين [٥].

وقد جاء في سبب نزولها في أسارى بدر عدة ألفاظ، منها ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما قال: قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ ﴾، كان العباس أسر يوم بدر فافتدى

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح «كتاب التفسير» باب ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ الآية: ٨/ ٣١٢، برقم: ٤٦٥٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ١٥/ ٢١١، تفسير المنار: ١٠/ ١٠٠.

Twitter: @almosahm

نفسه بأربعين أوقية [١] من ذهب، فقال العباس حين نزلت هذه الآية: لقد أعطاني الله خصلتين، ما أحب أن لي بهما الدنيا، إني أُسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية فآتاني أربعين عبداً، وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله [٢]، والخطاب للعباس ولغيره [٣].

أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يقول للأسرى الذين في يده وأيدي أصحابه ممن أخذوا منهم الفداء: إن يعلم الله في قلوبكم إسلاماً وتصديقاً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم من الفداء ويغفر لكم جرمكم الذي أجرمتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه وكفركم بالله، وإن يريدوا غدراً وخيانة بإظهار خلاف ما في أنفسهم، فقد خانوا الله من قبل حيث خالفوا أمره من قبل وقعة بدر، فأمكن منهم المؤمنين ببدر، والله عليم بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم، حكيم في تدبير أمور خلقه [٤].

٤- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [٥].

في هذه الآية يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين

---

(١) أوقية: سبعة مثاقيل وأربعون درهماً، القاموس (وقى) ٤/ ٤٠١.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٠/ ٣٥، أسباب النزول ٢٧٦، ٢٧٧، الدر المنثور ٤/ ١١١-١١٣.

(٣) ذكر الرازي في التفسير الكبير ١٥/ ٢١١، ٢١٢ ستة أوجه من الآية للدلالة على أنها عامة.

(٤) ينظر: جامع البيان ١٠/ ٣٤-٣٦.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

Twitter: @almosahm

مع الغلظة والشدة عليهم وعدم اللين معهم، وسبب أمره ﷺ بهذا؛ لأنه جُبِل على الرحمة والرأفة بالأمة، فأُمر بأن يتخلى عن جبلَّته في حق الكفار والمنافقين، وأن لا يغضي عنهم ويتسامح معهم كما كان شأنه من قبل، وجمع في الآية جهاد هاتين الفئتين لإلقاء الرعب في قلوبهم، فإن كل واحد منهم يخشى أن يظهر أمره فيعامل معاملة الكفار والمحاربين، فيكون ذلك قاطعاً لدابرهم ومستأصلاً لشوكتهم [(١)].

أما جهاد الكفار فظاهر، وأما جهاد المنافقين فمختلف في المراد به؛ لأنهم غير مظهرين للكفر بل ظاهرهم الإسلام، وهم مع المسلمين في غالب أحوالهم، قال ابن عباس: «أمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم» [(٢)].

وقال الحسن وقتادة: «جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحدود، أقم حدود الله عليهم» [(٣)]، واستشكل هذا القول بأن إقامة الحدود واجبة على غيرهم أيضاً، فلا يختص ذلك بهم [(٤)].

وقيل: جاهد الكفار والمنافقين معاً باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم، روى الطبري عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى:

---

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١٠/ ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ١٠/ ١٢٦.

(٣) رواه عنهما الطبري في تفسيره ١٠/ ١٢٦، ١٢٧.

(٤) ينظر: روح المعاني ١٠/ ١٣٧.

Twitter: @almosahm

﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ ، قال: «بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه»[(١)] ، واختار هذا القول الطبري ثم قال: «فإن قال قائل: فكيف تركهم ﷺ مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم؟

قيل: إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك، وأما من إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها أنكرها ورجع عنها وقال إني مسلم، فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه أن يحقن بذلك له دمه وماله، وإن كان معتقداً غير ذلك، وتوكل هو – جل ثناؤه – بسرائرهم، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر»[(٢)] .

فلا غرو إذاً أن يكون جهاد المنافقين فيه مشقة عظيمة؛ لأنه موقف وسط وحرج بين رحمته ﷺ ولينه مع المؤمنين المخلصين، وبين شدته في قتاله الأعداء الحربيين، مما يجب فيه إقامة العدل واجتناب الظلم[(٣)] .

٥- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ

---

(١) ينظر: جامع البيان: ١٠/ ١٢٦.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٠/ ١٢٧، وذهب إلى هذا ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٧١.

(٣) ينظر: تفسير المنار: ١٠/ ٥٥١.

Twitter: @almosahm

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ [١].

في هذه الآية نداء من الله عز وجل لنبيه ﷺ بوصفه الشريف (النبي) وترك نداءه باسمه كرامة له وتشريفاً وإعلاءً لمحله وتنويهاً بفضله وجلالة قدره – عليه الصلاة والسلام – ولأن مواجهة العظماء بأسمائهم في النداء لا تليق بخلاف الإخبار عنهم [٢].

وهذا هو النداء الأول في هذه السورة، افتتح به؛ لأن غرضه والمراد منه هو الأصل، حيث تضمن الأمر بالتقوى وواجب تأدية رسالة ربه على أكمل وجه، دون أن يفسد عليه أعداء الدين أعماله، سيراً على منهج الله مع التوكل عليه وحده، وما بعده من النداءات الأربعة مندرجة أغراضها في هذا الغرض الأساس [٣].

وقد اختلف في المراد بأمره ﷺ بالتقوى مع أنه خير المتقين على الإطلاق، أعرف الناس بالله وأشدهم له خشية، فقيل: المراد واظب على ما أنت عليه من التقوى وأثبت عليه وازدد منه، وذلك؛ لأن التقوى باب عظيم لا يبلغ آخره، وقيل: المراد الازدياد من التقوى فإن مراتبها لا تتناهى، فكان – عليه الصلاة والسلام – يزداد علمه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/ ٢٤٨، البحر المحيط ٧/ ٢١٠، روح المعاني ٢١/ ١٤٣، حاشية الشهاب ٧/ ٤٥٧.

(٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢١/ ٢٤٩، ٢٥٠.

Twitter: @almosahm

وتقواه واستغفاره، وتتجدد له هذه المقامات، على حد قوله ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[(١)].

وقيل: إن هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بتقواه وهو خير المتقين، فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى[(٢)]، وأَمْرُه ﷺ بتقوى الله عز وجل مانع له من طاعة الكافرين والمنافقين ومتابعتهم، وخص الكافرين والمنافقين بالذكر هنا ليشمل من هو معلن كفره مصرح به، أو من هو متستر باسم الإسلام وهو مبطن للكفر، سواء قرب أم بعد، ثم أمره باتباع ما يوحى إليه في كل ما يأتي ويذر من أمور الدين، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ ﴾[(٣)]، ثم أمره بالتوكل عليه وتفويض الأمور إليه، وهو خير حافظاً موكولاً إليه كل الأمور، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ ﴾[(٤)]. وجاء

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٨/ ٧٢، عن الأغر المزني – رضي الله عنه.

(٢) ينظر لما سبق: الكشاف ٣/ ٢٤٨، التفسير الكبير ٢٥/ ١٩٠، ١٩١، البحر المحيط ٧/ ٢١٠، تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣.

Twitter: @almosahm

الإظهار في لفظ الجلالة مقام الإضمار للتعظيم والتقرير [١].

٦- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [٢].

ذكر الرازي وجه تعلق هذا النداء بما قبله من النداء الأول، وهو: «أن مكارم الأخلاق منحصرة في شيئين، التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، ثم إن الله تعالى لما أرشد نبيه إلى ما يتعلق بجانب التعظيم لله بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ ، ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة، وبدأ بالزوجات فإنهن أولى الناس بالشفقة، ولهذا قدمهن في النفقة [٣].

وافتتاح هذه الأحكام بنداء النبي ﷺ بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ تنبيه على أن ما سيذكر بعد النداء له مزيد اختصاص به، وهو غرض تحديد سيرة أزواجه معه سيرة تناسب مرتبة النبوة ومقام الرسالة[٤].

وقد ثبت في الصحيحين في قصة اعتزال النبي ﷺ نساءه شهراً

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٢٥/ ١٩١، ١٩٢، البحر المحيط ٧/ ٢١٠، ٢١١، روح المعاني ٢١/ ١٤٤..

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٠٦، وانظر: روح المعاني ٢١/ ١٨٢.

(٤) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢١/ ٣١٥.

Twitter: @almosahm

قول عائشة: «فأنزل آية التخيير فبدأ بي أول مرة، فقال: إني ذاكر لك أمراً، ولا عليك ألا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، ثم قال: إن الله قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قالت: فقلت ففي أيِّ هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خيَّر نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة [(١)].

فقد خيَّر النبي ﷺ نساءه بأمر الله له أن يقول: ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾، أي: السعة والتنعيم فيها ﴿ وَزِينَتَهَا ﴾، أي: زخرفها ومباهجها، ﴿ فَتَعَالَيْنَ ﴾، أي: أقبلن بإرادتكن واختياركن ﴿ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾، أي: أعطكن متعة الطلاق ﴿ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ التسريح في الأصل مطلق الإرسال ثم كني به عن الطلاق ﴿ جَمِيلًا ﴾ أي: ذا حسن كثير، بأن يكون سنياً لا ضرار فيه كما في الطلاق البدعي، وقيل: الطلاق الخالي عن الخصومة والمشاجرة والإيذاء [(٢)].

وفي تقديم التمتيع على التسريح مع أنه في الواقع بعده، ما يدل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب التفسير باب تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾، ٨/ ٥١٩، برقم: ٤٧٨٥، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية: ٤/ ١٨٥، ١٨٦.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢١/ ٩٩، ١٠٠، روح المعاني ٢١/ ١٨١، ١٨٢.

Twitter: @almosahm

على كرمه – عليه الصلاة والسلام – وحسن خلقه، وفي ذلك إيناس لهن وقطع لمعاذيرهن من أول الأمر، حيث سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة وتوسعة الحال [١].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ [٢] أي: تردن رضا الله لما يريده رسوله وهو البقاء في عصمته، ونعيم الدار الآخرة الباقي، وتؤثرن ذلك على هذه الدنيا الفانية: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ ﴾ أي: هيأ ويسر ﴿ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ ﴾، جزاء إحسانهن ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لا تحصى كثرته ولا تستقصى عظمته، قال الرازي: «الأجر العظيم: الكبير في الذات، الحسن في الصفات، الباقي في الأوقات» [٣].

ولما اخترن رسول الله ﷺ رؤي الفرح في وجهه مسروراً بذلك، فشكرهن الله على ذلك فجعلهن أمهات المؤمنين، وقصره عليهن فلم ينكح بعدهن، قال تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [٤].

فرفع الله محلهن وأجل قدرهن، وجعلهن أزواجه في الدنيا

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٧/ ٢٢٧، أنوار التنزيل للبيضاوي ٤/ ٦١، روح المعاني ٢١/ ١٨١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٠٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٢.

Twitter: @almosahm

والآخرة، وشاهدن من أحواله وأفعاله وأقواله بالليل والنهار ما لم يكن لغيرهن، فكن أشد تعلقاً برسول الله ﷺ وأحرص الناس على اقتفاء أثره والتمسك بسنته، وقد ذكرهن الله ذلك تذكيراً بديعاً بقوله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (١)(٢).

٧- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (٣).

هذا هو النداء الثالث للنبي ﷺ في هذه السورة، فإن الله تعالى لما أبلغه بالنداء الأول: ما هو متعلق بذاته، وبالنداء الثاني: ما هو متعلق بأزواجه، ناداه بأوصاف أودعها سبحانه فيه تنويهاً بشأنه وزيادة رفعة في قدره، وبين له أركان رسالته، ذكر له هنا خمسة أوصاف هي: شاهد، مبشر، نذير، داع إلى الله، سراج منير، فهذه الأوصاف تنطوي على مجامع الرسالة وعليها تقوم الدعوة إلى هذا الدين، ولذلك اقتصر عليها من بين أوصافه الكثيرة (٤).

وقيل: إن السورة فيها تأديب وتعليم للنبي ﷺ من ربه، فقوله في ابتدائها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٢) ينظر: روح المعاني ٢١/ ١٨٢، حاشية زاده على البيضاوي ٤/ ٦٢، تفسير التحرير والتنوير ٢١/ ٣١٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٤) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٢/ ٥٢.

Twitter: @almosahm

مع ربه، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع عامة الخلق [(١)].

فأول أوصافه: أنه شاهد، وقد اختلف في المراد به، فقيل: يكون شاهداً على الخلق يوم القيامة بما بلَّغهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [(٢)]، وقيل: إنه شاهد أن لا إله إلا الله، وقيل: شاهد في الدنيا بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط، وشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد وبأعمال الخلق، كما قال تعالى: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [(٣)].

الوصف الثاني والثالث: قوله: ﴿ وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ فيه ترتيب حسن فإن النبي ﷺ أرسل شاهداً مبلغاً لا إله إلا الله، مرغباً في ذلك يبشرهم بالجنة إن صدقوه وآمنوا به وعملوا بما جاءهم به من ربه، ونذيراً من النار أن يدخلوها إن هم كذبوه ولم يؤمنوا به وخالفوا ما جاءهم به، وقدم التبشير على الإنذار لشرف المبشرين وعظيم ثوابهم؛ ولأنه المقصود الأصلي، إذ هو ﷺ رحمة للعالمين.

الوصف الرابع: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي: يدعو الناس إلى

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٥/ ٢١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.

Twitter: @almosahm

توحيده سبحانه وإلى سائر ما يجب الإيمان به وطاعته والحذر من معصيته والوقوع في نواهيه، وقوله: ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي: بأمره إياك بذلك.

الوصف الخامس: ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ أي: ضياء ينير لمن استضاء بضوئه، وهو النور الذي أتى به الخلق من عند الله، فهو يهدي به من اتبعه من أمته، مؤمناً به عاملاً بما يأمرهم به، تاركاً ومجانباً ما حذرهم منه، وما أتاهم به مبُرهَن عليه، مُظْهَر على غيره بأوضح الحجج وأصدق الأدلة.

وبولغ في الوصف بالإنارة؛ لأن من السراج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودق فتيله، فهو كوصف الشيء بالمشتق من لفظه كقولهم: شعر شاعر وليل أليل، أو من معناه كالآية، لإفادة قوة معنى الاسم في الموصوف به، فإن هدي النبي ﷺ أوضح الهدي وإرشاده أبلغ الإرشاد، فهو كالسراج الوقاد الذي يضيء ظلمة المكان، فهديه ودعوته واضحة لا لبس فيها، لا تترك باطلاً إلا فضحته ولا شبهة إلا أزالتها [(١)]، وهو القائل: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**» [(٢)].

---

(١) ينظر لما سبق: جامع البيان ٢٢/ ١٤، التفسير الكبير ٢٥/ ٢١٨، البحر المحيط ٧/ ٢٣٨، روح المعاني ٢٢/ ٤٧، ٤٨، تفسير التحرير والتنوير ٢٢/ ٥٣-٥٥.

(٢) جزء من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٢٦، وابن ماجه في سننه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/ ١٣، ١٤، وفي السلسلة الصحيحة ٢/ ٦٤٧، ٦٤٨، برقم: ٩٣٧.

Twitter: @almosahm

عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً [(١)].

٨- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [(٢)].

قال ابن عاشور: «نداء رابع خوطب به النبي ﷺ في شأن خاص به، هو بيان ما أحل له من الزوجات والسراري، وما يزيد عليه وما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح «كتاب التفسير» باب قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ ٨/ ٥٨٥، برقم: ٤٨٣٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

Twitter: @almosahm

لا يزيد، مما بعضه تقرير لتشريع له سابق وبعضه تشريع له للمستقبل، ومما بعضه تقرير لتشريع له سابق وبعضه تشريع له للمستقبل، ومما بعضه يتساوى يه النبي – عليه الصلاة والسلام – مع الأمة وبعضه خاص به، أكرمه الله بخصوصيته مما هو توسعة عليه، أو مما روعي في تخصيصه به علو درجته»[(١)].

فالآية امتنان وتذكير بنعمه على نبيه ﷺ، فإنه عز وجل قد اختار لرسوله – عليه الصلاة والسلام – الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى، كما اختصه بغير ذلك من الخصائص، وآثره بما سوى ذلك، مما فيه رفعة قدره وعلو منزلته، ومما جاء في الآية على وجه الإجمال:

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: أعطيتهن مهورهن، وتسمية المهر في العقد واجب، وسوق المهر إليها عاجلاً أفضل من أن يسميه ويؤجله، وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم، لا يعرف بينهم غيره، وفي التعجيل بإعطاء المهر براءة الذمة وطيب النفس، وأولى الناس بذلك رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾ أي: الجارية التي سباها الرجل بنفسه وغنمها في الحرب أحل وأطيب من التي

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٢/ ٦٢.

Twitter: @almosahm

اشتراها من غيره؛ لأنه لا يدري كيف حالها، ولأن الله قال: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ وفيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث، كما أن رزق الله يطلق على الحلال دون الحرام، وأولى الناس بذلك رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، أي: نكاح اللاتي هاجرن مع رسول الله ﷺ من أقاربه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه، والمراد بالمعية هنا الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة والمقارنة فيها، يقال: دخل فلان معي في كذا، أي: كان عمله كعملي وإن لم يقترنا في الزمان.

قال الحافظ ابن كثير: «هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط، فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى، فأباح بنت العم والعمة وبنت الخال والخالة، وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت، وهذا شنيع فظيع»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ أي: وأحللنا

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٩٩.

Twitter: @almosahm

لك من وقع لها أن تهب لك نفسها، ولا تطلب مهراً من النساء المؤمنات، وهذا خاص بالنبي ﷺ، ولذا قال: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وذلك تكرمة لنبيه وإجلالاً لقدره، وجاء الإظهار في موضع الإضمار في قوله: ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾ للإيذان والإعلام بأن هذا الحكم مما خص به تكرمة له، لأجل النبوة، وتكريره تفخيم له، وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته وفي ذلك تزكية لفعل المرأة التي تهب نفسها له بأنها راغبة لكرامة النبوة وجليل قدر الرسالة، فأرادت أن تكون في عداد أهل بيته ومن يشرف بخدمته، ويقرب من هديه وحاله.

أما قوله تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ فجملة اعتراضية، معناها: أن ما ذكر فرضك وحكمك مع نسائك، وأما حكم أمتك فعندنا علمه ونبينه لهم، وإنما ذكر هذا لئلا يحمل أحد المؤمنين نفسه على ما كان للنبي ﷺ، فإن له في النكاح وغيره خصائص ليست لغيره.

أما قوله: ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ فتعليل لما شرعه الله تعالى في حق نبيه ﷺ في الآية من التوسعة في الازدياد مما خص به عن أمته وفيما ساواهم فيه، فلم يضيق عليه، وهذا تعليم وامتنان، وقد سلك – عليه الصلاة والسلام – في الأخذ بهذه التوسعات والعيش مع هذه المنن والكرامات التي رفع الله بها قدره مسلك

Twitter: @almosahm

الكمل من عباده وهو أكملهم، فكان عبداً شكوراً لما خص به من اختيار وإباحة ما هو أولى وأفضل.

وقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي: كثير المغفرة فيغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ﴿ رَّحِيمًا ﴾ أي واسع الرحمة، ومن رحمته سبحانه أن وسع الأمر في مواقع الحرج، ولم يعاقبهم على سالف ذنب منهم بعد توبتهم منه [(١)].

٩- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [(٢)].

قال أبو حيان: «كان دأب الجاهلية أن تخرج الحرة والأمة مكشوفتي الوجه في درع وخمار، وكان الزناة يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان [(٣)] للإماء، وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة، يقولون: حسبناها أمة، فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس

---

(١) ينظر: الكشاف ٣/ ٢٦٧، ٢٦٨، التفسير الكبير ٢٥/ ٢٢١، البحر المحيط ٧/ ٢٤١، روح المعاني ٢٢/ ٥٢-٦١، حاشية زادة على تفسير البيضاوي ٤/ ٦٩، تفسير التحرير والتنوير ٢٢/ ٦٩-٧١، حاشية الشهاب ٧/ ٥٠٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٣) الغيطان: جمع غائط، وهو المطمئن الواسع من الأرض، القاموس (غوط) ٢/ ٣٧٦.

Twitter: @almosahm

والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن .. وقوله: ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يشمل الحرائر والإماء، والفتنة بالإماء أكثر، لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح»[(١)].

وقد جاء في سبب نزول الآية عدة روايات منها:

ما روته عائشة – رضي الله عنها – أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع[(٢)] وهو صعيد أفيح فكان عمر – رضي الله عنه – يقول للنبي ﷺ: أحجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب[(٣)].

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال عمر – رضي الله عنه – قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات

---

(١) البحر المحيط، ٧/ ٢٥٠.

(٢) المناصع: جمع منصع، مواضع يتخلى فيها لبول أو حاجة، القاموس (نصع) ٣/ ٨٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح: «كتاب الوضوء»، باب خروج النساء إلى البراز ١/ ٢٤٨، برقم: ١٤٦، ومسلم في صحيحه بشرح النووي كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان ١٤/ ١٥٢.

Twitter: @almosahm

المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب [١].

وكان البدء بأزواجه وبناته – عليه الصلاة والسلام – لشرفهن ورفعة قدرهن، فأفردهن بالذكر اهتماماً بذلك، فهن من أهل بيته[٢]، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [٣].

ومعنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: ذلك أقرب أن يعرفن ويميزن لتسترهن بالحجاب والعفة، فلا يتعرض لهن أحد ولا يلقين ما يكرهن؛ لأن المرأة إذا كانت في غاية من التستر لم يقدم عليها فاسق، بخلاف المتبرجة، فإنه مطموع فيها [٤].

وقد كان من المؤمنات الامتثال والانقياد لأمر الله والاستجابة له ولرسوله – عليه الصلاة والسلام – تقول عائشة – رضي الله عنها: «رحم الله تعالى نساء الأنصار، لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، الآية.. شققن مروطهن [٥] فاعتجرن [٦]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح، كتاب: «التفسير»، باب تفسير، ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ ٨/ ٥٢٧، برقم: ٤٧٩٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٥١٨، تفسير التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٠٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) ينظر: البحر المحيط، ٧/ ٢٥٠، روح المعاني: ٢٢/ ٨٩.

(٥) المروط: جمع مرط، كساء من صوف أو خز، القاموس (مرط) ٢/ ٣٨٥.

(٦) اعتجرن: لبسة للمرأة كالالتحاف ويطلق على لف العمامة على الرأس ليس شيء منها تحت ذقنه، اللسان (عجر) ٤/ ٥٤٤.

Twitter: @almosahm

بها، فصلين خلف رسول الله ﷺ كأنما على رؤوسهن الغربان»[(١)]، وعن أم سلمة – رضي الله عنهما – قالت: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها»[(٢)].

١٠- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[(٣)].

اشتملت الآية على بيان بيعة النساء النبي ﷺ، وقد تعددت مواضع ذلك، فوقع ذلك بعد فتح مكة، ووقع أيضاً في المدينة، وكان – عليه الصلاة والسلام – يتعاهد النساء بذلك بعد صلاة العيد وغيرها[(٤)].

مع شفقته – عليه الصلاة والسلام – ورحمته بهن وعدم تكليفهن ما لا يطقنه، والعفو عما كان منهن قبل ذلك، وكان لا يصافحهن بل كانت بيعتهن من وراء حجاب.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٦٠، عنها وعزاه لابن مردويه، ورواه أبو داود برقم: ٤١٠٠ في اللباس.

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١٢٣.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٤) ينظر: جامع البيان ٢٨/ ٥١، تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٥٢ – ٣٥٦.

Twitter: @almosahm

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر أسفل منه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة بين النساء، خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها، فقال – عليه الصلاة والسلام: «**أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئاً**»، فرفعت هند رأسها وقالت: والله لقد عبدنا الأصنام، وإنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، تبايع الرجال على الإسلام والجهاد. وفي رواية: قالت هند: وكيف نطمع أن يقبل منا ما لم يقبله من الرجال؟ تعني أن هذا بين لزومه، فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح، وإني أصبت من ماله هنات، فما أدري أتحل لي أم لا؟

فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: «**وإنك لهند بنت عتبة**»؟ قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك، فقال: ﴿ **وَلَا يَزْنِينَ** ﴾ فقالت: أوتزني الحرة؟ فقال – عليه الصلاة والسلام: ﴿ **وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ** ﴾، فقالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ فقال:

Twitter: @almosahm

﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ ﴾ ، فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ ، فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء» (١).

وعن أميمة بنت رقيقة، قال: دخلت على رسول الله ﷺ في نسوة، فقلن: يا رسول الله، ابسط يدك نصافحك، فقال: «**إني لا أصافح النساء، ولكن سآخذ عليكن**»، فأخذ علينا حتى بلغ ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ ، فقال: «**فيما أطقتن واستطعتن**»، فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا (٢).

فقد جاء في الآية أنه بايعهن على هذه الأمور الستة، وقدم الأقبح على ما هو الأدنى منه في القبح، ثم ما بعده إلى آخرها، وقيل: قدم

---

(١) ينظر: الكشاف ٤/ ٩٥، التفسير الكبير ٢٩/ ٣٠٨، الدر المنثور ٨/ ١٤٠، ورواه الطبري في تفسيره مختصراً عن ابن عباس من طريق العوفي ٢٨/ ١٥، وهو إسناد ضعيف فيه ضعفاء ومجاهيل كما بحث ذلك الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه تفسير الطبري ١/ ٢٦٣، ٢٦٤، حاشية رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٣٥٠ عن مقاتل بن حيان فذكره، وهذا إسناد معضل، ولهذا قال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف ٤/ ١٦٩: «لم أره بسياقه» ثم ذكر ما تقدم وسكت عنه، فالأثر لم يثبت وهو على ضعفه الشديد فيه غرابة ونكارة في بعض ألفاظه، وقد استغربه الزيلعي فقال: «غريب بهذا اللفظ»، تخريج الأحاديث والآثار الواردة في تفسير الكشاف ٣/ ٤٦٢.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٨/ ٥١، ٥٢، الدر المنثور ٨/ ١٣٨، ١٣٩.

Twitter: @almosahm

من الأشياء المذكورة ما هو الأظهر فيما بينهم [١].

وقوله: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ قال الفراء: «كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى» [٢]، وذلك أن الولد إذا أرضعته الأم سقط بين يديها ورجليها، وليس المعنى النهي عن الزنا؛ لأن النهي عن الزنا قد تقدم [٣].

وقوله: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ أي: فيما تأمرهن به من معروف، وتنهاهن عنه من منكر، والتقييد بالمعروف مع أن الرسول ﷺ لا يأمر إلا به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق، ويدخل في هذا عموم ما نهى عنه النساء من النياحة وشق الجيوب ووصل الشعر وغير ذلك من أوامر الشريعة [٤].

١١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٢٩/ ٣١٠.

(٢) معاني القرآن: ٣/ ١٥٢.

(٣) ينظر: الكشاف ٤/ ٩٥، التفسير الكبير ٢٩/ ٣٠٩، روح المعاني ٢٨/ ٨٠.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي ٤/ ٤٨٧، روح المعاني ٢٨/ ٨٠، الكشاف ٤/ ٩٥، الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٧٤، ٧٥.

Twitter: @almosahm

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١ ﴾ [١].

خص النبي ﷺ بالنداء ثم جاء الخطاب عاماً له ولأمته؛ لأن النبي إمام أمته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت، إظهاراً لتقدمه واعتباراً لترؤسه، وأنه إمام قومه ولسانهم، والذي يصدرون عن رأيه، ولا يستبدون بأمر دونه، فكان وحده في حكم كلهم، وساداً مسد جميعهم وجاء اختيار لفظ ﴿ ٱلنَّبِىُّ ﴾ لما فيه من الدلالة على علو مرتبته ورفعة قدره – عليه الصلاة والسلام – وهذا كقوله حكاية عن فرعون: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ ﴾ [٢].

فأفرد موسى – عليه السلام – بالنداء؛ لأنه كان أجل الاثنين والمقدم فيهما – عليهما السلام – ثم عمهما بالخطاب [٣]، وقيل: المعنى يا أيها النبي قل لهم إذا طلقتم النساء، فأضمر القول، فالله عز وجل خاطبه وجعل الحكم للجميع، كما يقال للرجل: ويحك أما تتقون الله أما تستحون منه، تذهب إليه وإلى أهل بيته، على

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٩.

(٣) ينظر: الكشاف وحاشية الإنصاف عليه: ٤/ ١١٧.

Twitter: @almosahm

سبيل تلوين الخطاب [١].

وقيل: النداء له ولأمته، فحذف نداء الأمة، والتقدير: يا أيها النبي وأمة النبي إذا طلقتم، فالخطاب له ولهم، أي: أنت وأمتك [٢].

وقيل: إنه بعدما خاطبه – عليه الصلاة والسلام – بالنداء صرف سبحانه الخطاب عنه لأمته، تكريماً له ﷺ؛ لما في الطلاق من الكراهة، فلم يخاطب به تعظيماً وإجلالاً لقدره [٣].

وقد اختلف في سبب نزول الآية:

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة – رضي الله عنها – فأتت أهلها فأنزل الله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قُبل عدتهن) فقيل له: راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة [٤].

وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – أنه طلق امرأته وهي حائض، فقال له النبي ﷺ: «**ليراجعها**». فردها، وقال: «**إذا طهرت**

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٣٠/ ٢٩، تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٧٧، البحر المحيط، ٨/ ٢٨١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٨/ ٢٨١، روح المعاني، ٢٨/ ١٢٨، ١٢٩.

(٣) ينظر: روح المعاني ٢٨/ ١٢٨.

(٤) رواه ابن كثير في تفسير ٤/ ٣٧٩، وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره هكذا موصولاً، ورواه الطبري في تفسيره ٢٨/ ٥٨ مرسلاً عن قتادة، وذكره السيوطي في لباب النقول ٢١٥، والدر المنثور ٨/ ١٨٩، وعزاه لابن المنذر عن ابن سيرين مرسلاً.

Twitter: @almosahm

فليطلق أو ليمسك»، قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ (١)(٢).

وعن مقاتل قال: بلغنا في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. أنها نزلت في عبدالله بن عمرو بن العاص، وطفيل بن الحارث، وعمرو بن سعيد بن العاص (٣).

ومعنى الآية: إذا أردتم الطلاق فالتمسوا لطلاقهن الأمر المشروع، ولا تبادروا بالطلاق من حين يوجد سببه، بل طلقوهن لأجل عدتهن، بأن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه أو وهي حامل، وهذا هو طلاق السنة، أما طلاق البدعة فأن يطلقها وهي حائض، أو في طهر جامعها فيه.

---

(١) قال النووي: «هذه قراءة ابن عباس وابن عمر وهي شاذة، لا تثبت قرآناً بالإجماع»، شرح صحيح مسلم ١٠/ ٦٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه مع شرح النووي بهذا اللفظ، كتاب الطلاق ١٠/ ٦٩، والحديث قد جاء بعدة ألفاظ منها ما رواه البخاري في صحيحه مع الفتح، كتاب الطلاق، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ الآية .. ٩/ ٣٤٥، ٣٤٦، برقم: ٥٢٥١، ومسلم في صحيحه مع شرح النووي، كتاب «الطلاق» ١٠/ ٥٩-٦١، عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما: «أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: **«مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء»**.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٨/ ١٨٩، ولباب النقول ٢١٥، وعزاه لابن أبي حاتم عنه.

Twitter: @almosahm

ثم أمر بإحصاء العدة وذلك ضبطها إن كانت تحيض، أو بالأشهر إن لم تكن تحيض وليست حاملاً، وذلك لما يترتب عليها من الحقوق، فلا بد من معرفة بدايتها لتعرف نهايتها، والخطاب موجه للزوج وللمرأة إن كانت مكلفة أو لوليها، وأمر بتقواه جل وعلا والخوف منه، وأمر بعدم إخراجها من بيتها زمن العدة بل تلزم بيتها زوجها ولا يجوز لها أن تخرج منه، فإن لها الحق في النفقة والسكنى، وتستمر على تلك الحال إلا أن تأتي بفاحشة مبينة، أي: بأمر قبيح واضح موجب لإخراجها، قيل: هو الزنا، وقيل: إدخال الضرر على أهل البيت بأذيتها لهم بالقول والفعل، فهي التي تسببت في إخراج نفسها، وقد كان سكنها جبراً لخاطرها ورفقاً بها، وهذا في المعتدة الرجعية، أما المطلقة البائن فلا نفقة لها ولا سكنى.

وما سبق من هذه الأحكام من حدود الله التي شرعها لعباده، فالواجب التزامها والوقوف عندها ولا يجوز تعديها، ففيها الخير والمصالح، ومن ذلك أن في بقاء المطلقة طلاقاً رجعياً في بيت زوجها مصلحة عظيمة، فلعله يحدث في قلب زوجها الرحمة والمودة لها، ولعله أن يرى منها ما يعجبه فتميل نفسه إليها، ولعل السبب الموقع للطلاق يزول، ونحو ذلك [1]، وصدق الله القائل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٧٨، تيسير الكريم الرحمن ٨٠٥، ٨٠٦.

Twitter: @almosahm

﴿ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١).

١٢- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ (٢).

جاء في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

أولاً: أنها نزلت في تحريمه - عليه الصلاة والسلام - على نفسه العسل، وذلك في قصة مخرجة في الصحيحين بعدة ألفاظ، منها ما روته عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير (٣)؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال: **لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش فلن أعود له، وقد حلفتُ لا تخبري بذلك أحداً**» (٤).

ثانياً: أنها نزلت في تحريمه - عليه الصلاة والسلام - على نفسه وطء جاريته مارية، عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١.

(٣) مغافير: جمع مُغْفور، شيء ينضحه شجر العرفط حلو له ريح كريهة منكرة، النهاية (غفر) ٣/ ٣٧٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح واللفظ له كتاب «التفسير»، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾، ٨/ ٦٥٦، برقم: ٤٩١٢، ومسلم في صحيحه مع النووي (كتاب الطلاق) ١٠/ ٧٤، ٧٥.

Twitter: @almosahm

الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾[1].

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن عمر – رضي الله عنه: «أن أم إبراهيم القبطية أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في يومها، فوجدته حفصة، فقالت: يا نبي الله لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك بمثله، في يومي وفي دوري وعلى فراشي، قال: **ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها**، قالت: بلى، فحرمها وقال: **لا تذكري ذلك لأحد**، فذكرته لعائشة فأظهره الله عز وجل عليه، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾، فبلغنا أن نبي ﷺ كفّر يمينه وأصاب جاريته[2].

ثالثاً: أنها نزلت في الواهبة التي جاءت النبي ﷺ، فقالت: إني وهبت لك نفسي، فلم يقبلها، روي هذا عن ابن عباس –

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك كتاب (التفسير) تفسير سورة التحريم ٢/ ٤٩٣، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٨٦، والحافظ في الفتح ٨/ ٦٥٧ وعزياه للنسائي وصححه السيوطي في لباب النقول ٢١٧، والدر المنثور ٨/ ٢١٤.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٢٨/ ١٠٢، وقال ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٨٦ بعد أن ذكر له طريقاً آخر: «هذا إسناد صحيح، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة»، وقال عنه الحافظ في الفتح ٨/ ٦٥٧، بعد أن ذكر بعض طرقه: «وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢٦: «رواه البزار بإسنادين، والطبراني، ورجال البزار رجال الصحيح، غير مبشر بن آدم وهو ثقة».

Twitter: @almosahm

رضي الله عنهما [١]– قال ابن العربي: «أما من روى أن الآية نزلت في الموهوبة فهو ضعيف في السند وضعيف في المعنى، أما ضعفه في السند؛ فلعدم عدالة رواته، وأما ضعفه في معناه؛ فلأن رد النبي ﷺ للموهوبة ليس تحريماً لها؛ لأن من رد ما وهب له لم يحرم عليه، وإنما حقيقة التحريم بعد التحليل» [٢].

قال الحافظ ابن حجر – بعد أن ذكر قصتي العسل ومارية: «فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً» [٣] ، وقال الشوكاني: «فهذان سببان صحيحان لنزول الآية، والجمع ممكن بوقوع القصتين، قصة العسل وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً، وفي كل واحد منهما أنه أسر الحديث إلى بعض أزواجه» [٤]، فافتتاح السورة بنداء النبي ﷺ تنبيه على أن ما سيذكر بعده، مما يهتم به النبي ﷺ والأمة؛ لما اشتمل عليه من بيان الأمور وذكر الأحكام والتوجيهات المناسبة لها؛ ولأن سبب

---

(١) ذكره السيوطي في لباب النقول ٢١٨، والدر المنثور ٨/ ٢١٧، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عنه.

(٢) أحكام القرآن ٤/ ١٨٤٥، وممن قال بضعفه السيوطي في لباب النقول ٢١٨، والدر المنثور ٨/ ٢١٧، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٢٥٢.

(٣) فتح الباري: ١٠/ ٦٥٧.

(٤) فتح القدير ٥/ ٢٥٢، وانظر: جامع البيان ٢٨/ ١٠٢.

Twitter: @almosahm

النزول كان مرتبطاً به – عليه الصلاة والسلام – وفي بيته [١].

وقد أساء الزمخشري الأدب مع مقام النبي ﷺ، وزل لسانه بما ينبغي أنه يطهر عنه ويكرم من أعلى الله عز وجل مقامه ورفع من قدره، حيث قال: «وكان هذا زلة منه؛ لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله؛ لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل لحكمة أو مصلحة عرفها في إحلاله، فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ ﴾ ، قد غفر لك ما زللت فيه، ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ قد رحمك فلم يؤاخذك به» [٢].

وقد شنع بعض المفسرين على الزمخشري إساءته الأدب وزلل لسانه في حق النبي ﷺ، فما أطلقه في حق النبي ﷺ تقوّل وافتراء، والنبي ﷺ منه براء، وإذا كان آحاد المؤمنين يتحاشى أن يعتقد تحريم ما أحل الله له، فكيف لا يربأ بمنصب النبي ﷺ عما يرتفع عنه منصب عامة الأمة.

وذلك أن تحريم الحلال على وجهين:

الأول: اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه، وهو كاعتقاد ثبوت حكم التحليل في الحرام، وهذا محظور يوجب الكفر،

---

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٤٦.

(٢) الكشاف ٤/ ١٢٥، وقد تبعه في هذا: البيضاوي والشيخ زاده، ينظر: حاشية زاده على البيضاوي: ٤/ ٥١٠، ٥١١.

Twitter: @almosahm

فلا يمكن صدوره من النبي ﷺ أصلاً.

الثاني: الامتناع من الحلال مطلقاً أو مؤكداً باليمين مع اعتقاد حله، وهذا مباح صرف، وحلال محض، وما وقع منه ﷺ كان من هذا النوع، فإذا أراد الحنث فيه والعود إليه كفر كفارة يمين، وإنما عاتبه الله تعالى عليه؛ رفقاً به وتنويهاً بقدره وإجلالاً لمنصبه – عليه الصلاة والسلام – أن يراعي مرضاة أزواجه بما يشق عليه جرياً على ما ألف من لطف الله تعالى به؛ لرفعة منزلته وسمو مكانته عنده جل وعلا.

وفي ندائه ﷺ بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ في مفتتح العتاب من حسن التلطف به والتنويه بشأنه ما لا يخفى، ونظير ذلك تقديم العفو على العتاب في قوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ (١).

أما قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ففيه تعظيم لشأنه ﷺ؛ وذلك لأن ترك الأولى بالنسبة إلى مقامه السامي الكريم يعد كالذنب، وإن لم يكن في نفسه كذلك، وأن عتابه ﷺ ليس إلا لمزيد الاعتناء به، والإيناس له مما حصل (٢).

١٣- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٨/ ٢٨٩، حاشية الإنصاف ٤/ ١٢٥، ١٢٦، ورح المعاني ٢٨/ ١٤٦، ١٤٧.

Twitter: @almosahm

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾[١].

سبق الحديث عن هذه الآية عند الآية التي مثلها في سورة التوبة[٢]، ومناسبة النداء للذي قبله في أول السورة، أن هذا النداء الثاني للنبي ﷺ يأمره بإقامة صلاح عموم الأمة بتطهيرها من الخبثاء الكفار والمنافقين بعد أن أمره بإفاقة من عليهما الغفلة عن شيء من واجب حسن المعاشرة مع الزوج[٣].

❐❐❐

(١) سورة التحريم، الآية: ٩.

(٢) ينظر ما سبق، ص١١٢.

(٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٤٧.

Twitter: @almosahm

المبحث الثالث:

النداء بصفات أخرى

١- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [(١)].

افتتح خطاب النبي ﷺ بالنداء تنبيهاً وإعلاماً بأهمية وعظم شأن ما سيوجه إليه ويكلف القيام به، والمزمل اسم فاعل من تزمل، أي: تلفف في الثوب [(٢)]. فالمزمل أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي، وبها قرأ أُبَيٌّ (المتزمل) على الأصل [(٣)].

ففي مستهل هذه السورة يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي والتلفف، وينهض للقيام لربه سبحانه ويستعد للأمر العظيم الذي كلف به وهو إبلاغ الرسالة للناس كافة، فالمزمل صفة له – عليه الصلاة والسلام – اشتقاقاً من الحالة التي كان عليها، وليس اسماً من أسمائه، كما ظن السيوطي [(٤)].

---

(١) سورة المزمل، الآيتان: ١، ٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٩٦، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٩، البحر المحيط ٨/ ٣٦٠.

(٣) ينظر: مختصر في شواذ القرآن ١٦٤، البحر المحيط ٨/ ٣٦٠.

(٤) ينظر: الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة ٢٣٨.

Twitter: @almosahm

وروي عن عكرمة أن المراد بالتزمل هو تزمل النبوة والرسالة[١]، وهو معنى مجازي بعيد عن ظاهر الآية[٢].

ونداؤه – عليه الصلاة والسلام – بهذا الوصف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ في هذا المقام يراد به تأنيسه وملاطفته والتودد إليه، وقد يعدل عن نداء الشخص باسمه إلى صفة متلبس بها إيناساً وملاطفة له وتهيئة لنفسه للقيام بمهمة يكلف بها، كقوله – عليه الصلاة والسلام – لحذيفة – رضي الله عنه: «**قم يا نومان**»[٣]، وكقوله لعلي – رضي الله عنه: «**قم أبا تراب**»[٤]. قال السهيلي: «وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان:

إحداهما: الملاطفة، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سمَّوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي حيث غاضب فاطمة – رضي الله عنهما – فأتاه وهو نائم، وقد لصق بجنبه التراب، فقال له: «**قم يا أبا تراب**»، وكذلك قوله – عليه الصلاة والسلام – لحذيفة – رضي الله عنه: «**قما يا نومان**»، وكان نائماً ملاطفة له وإشعاراً لترك العتب والتأنيب،

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٩/ ٧٨، ورجح المعنى الأول.

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧١، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٣٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب «الجهاد والسير» باب غزوة الأحزاب ٥/ ١٧٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب ٧/ ٧٠، برقم ٣٧٠٣، ورواه مسلم في صحيحه كتاب «فضائل الصحابة» باب من فضائل علي بن أبي طالب ٧/ ١٢٤.

Twitter: @almosahm

فقول الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ فيه تأنيس وملاطفة، ليستشعر أنه غير عاتب عليه.

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل، واتصف بتلك الصفة [(١)].

وقال ابن عاشور: «والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفاً عند المتكلم، فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء، من تعظيم أو تكريم نحو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾، أو تلطف وتقرب نحو يا بني ويا أبت، أو قصد تهكم نحو: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ ﴾ [(٢)]، فإذا نودي المنادى بوصف هيئته من لبسة أو جلسة أو ضجعة كان المقصود في الغالب التلطف به والتحبب إليه ولهيئته، فنداء النبي ﷺ بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ نداء تلطف وارتفاق، ومثله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ [(٣)].

وهنا أساء الزمخشري الأدب كعادته مع مقام سيد الأولين والآخرين ﷺ؛ وذلك لسوء معتقده، معرضاً نفسه لعقوبة الله عز

---

(١) التعريف والإعلام ١٧٨، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٣٣، البحر المحيط ٨/ ٣٦٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٦.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٥٥-٢٥٧، وانظر: حاشية الشهاب الخفاجي ٩/ ٣٠٤، روح المعاني ٢٩/ ١٠١.

Twitter: @almosahm

وجل، ثم للوم العلماء ونقدهم وردهم عليه، حيث زعم أن النبي ﷺ لم يُنادَ بذلك إلا تهجيناً للحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفة، واستعداده للاستثقال في النوم، كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن، ثم استشهد على ذلك بأبيات قيلت ذماً في جفاة حفاة من الرعاء [(١)]، كما يقول ابن المنير. ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له في الإكرام والاحترام فإنه يربأ بمقام النبي ﷺ عما قاله الزمخشري [(٢)].

وقال السكوني بعد أن ذكر كلام الزمخشري: «هذا التفسير هو الذي يليق بعقول المعتزلة في الإلهية والنبوة، ولم يعلم الزمخشري ولا شيعته المعتزلة مقام النبي ﷺ، ولم يزمل من أثنى الله عليه وخصصه بالتأهل للرسالة، للثقلين الإنس والجن لكسل كما أشار إليه، ولا للاستثقال في النوم، وقول الزمخشري سوء أدب مع النبوة، وبالجملة فهذا كله كلام من خذل الله عقله» [(٣)].

وقد حاول بعضهم [(٤)] الدفاع عن الزمخشري وتوجيه عبارته بأن

---

(١) ينظر: الكشاف ٤/ ١٧٤، وتبعه في هذا البيضاوي والشيخ زاده ٤/ ٥٦٢، وأبو السعود في تفسيره ٩/ ٤٩.

(٢) ينظر: حاشية الإنصاف على الكشاف ٤/ ١٧٤.

(٣) التمييز لما أوزده الزمخشري من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز (مخطوط) ٢/ ق، ٣٠٩/ أ، ب وانظر فيمن رد على الزمخشري: البحر المحيط ٨/ ٣٦٠، روح المعاني ٢٩/ ١٠١، حاشية الشهاب، ٩/ ٣٠٤.

(٤) نقل ذلك عنهم في روح المعاني ٢٩/ ١٠١، حاشية الشهاب ٩/ ٣٠٤.

Twitter: @almosahm

يكون التهجين المذكور محمولاً على ما يفهم من معنى الآية من لطيف العتاب الممزوج بالرأفة، ولينشطه ويجعله مستعداً لما وعده تعالى بقوله سبحانه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [(١)]، ولا يربأ برسول الله ﷺ عن مثل هذا النداء، فقد خوطب بما هو أشد منه في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [(٢)].

قال العلامة الألوسي راداً عليهم: «ولا يخفى أنه لا يندفع به سوء أدب الزمخشري في تعبيره، فإنه تعالى وإن كان له أن يخاطب حبيبه بما شاء، لكنا نحن لا نجري على ما عامله سبحانه به، بل يلزمنا الأدب والتعظيم لجنابه الكريم، ولو خاطب بعض الرعايا الوزير بما خاطبه به السلطان طرده الحُجَّاب، وربما كان العقاب هو الجواب» [(٣)].

ولا جرم أن رسول الله ﷺ قد امتثل أمر ربه مع أصحابه – رضي الله عنهم – فأحيوا ليلهم بالصلاة وقراءة القرآن، والدعاء والاستغفار، رافضين الدعة والرقاد، وجاهدوا أنفسهم في ذلك.

عن سعد بن هشام بن عامر قال: قلت لعائشة – رضي الله عنها: «يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن، قال:

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٥.

(٢) سورة عبس، الآية: ١.

(٣) روح المعاني ٢٩/ ١٠١، وانظر: حاشية الشهاب ٩/ ٣٠٤.

Twitter: @almosahm

فهممت أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت، ثم بدا لي، فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام النبي ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة»[(١)] إلخ.

٢- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[(٢)].

ثبت في الصحيحين عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، قلت: يقولون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبدالله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: «**جاورت بحراء[(٣)] فلما قضيت جواري هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه شرح النووي كتاب «صلاة المسافرين وقصرها»، باب صلاة الليل ٦/ ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة المدثر، الآيتان: ١، ٢.

(٣) حراء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، كان رسول الله ﷺ يتعبد فيه قبل أن يأتيه الوحي، معجم البلدان «حراء» ٢/ ٢٣٣.

Twitter: @almosahm

شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليَّ ماءً بارداً، قال: فدثروني وصبوا عليَّ ماءً بارداً، قال: فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ (١)(٢).

فهذا الحديث يقتضي أن أول ما نزل من القرآن سورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾، وأنها قبل نزول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، والمروي في الصحيحين وغيرهما **وهو المشهور عند علماء الأمة أن أول ما نزل:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ (٣) قالت عائشة – رضي الله عنها: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم» إلى قولها: «حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أنا بقارئ**»، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: «**ما أنا بقارئ**»، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: «**ما أنا بقارئ**» فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ١-٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب «التفسير» باب تفسير سورة المدثر ٨/ ٦٧٦، ٦٧٧، برقم: ٤٩٢٢ واللفظ له، ومسلم في صحيحه بشرح النووي كتاب الإيمان (باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢/ ٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٤٠، روح المعاني ٢٩/ ١١٥.

Twitter: @almosahm

﴿ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ الآيات، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره»[(١)] الحديث[(٢)].

ولصحة الحديثين ذكر العلماء وجوهاً في الجمع بينهما منها:

أولاً: أن السؤال لجابر – رضي الله عنه – عن نزول سورة كاملة، فبين أن سورة المدثر نزلت بكاملها قبل نزول تمام سورة العلق، فإن أول ما نزل منها صدرها، ويؤيد هذا ما في الصحيحين أيضاً عن جابر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «**بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت**[(٣)] **منه رعباً، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فدثروني. فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾**»[(٤)]، فقوله: «**فإذا الملك الذي**

---

(١) بوادره: جمع بادرة وهي لحمة بين المنكب والعنق، النهاية «بدر» ١/ ١٠٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب التفسير باب تفسير سورة «اقرأ» ٨/ ٧١٥، برقم: ٤٩٥٣، ورواه مسلم في صحيحه بشرح النووي كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ٢/ ١٩٧-٢٠٤.

(٣) فجئثت: أي فزعت ورعبت، شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٢٠٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب التفسير باب ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾، ٨/ ٦٧٨، برقم: ٤٩٢٥، ورواه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢/ ٢٠٦.

Twitter: @almosahm

جاءني بحراء» يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾.

ثانياً: أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، لا أولية مطلقة، ويدل على هذا ما جاء صريحاً في رواية أخرى من حديث جابر: «**ثم فتر عني الوحي فترة، فبينا أنا أمشي**»[(١)].

ثالثاً: أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، فأول ما نزل للنبوة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ وأول ما نزل للرسالة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾.

رابعاً: أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم، وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب، وأما ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ فنزلت ابتداء من غير سبب متقدم[(٢)].

و(المدثر) اسم فاعل من تدثر، أي: لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار، والشعار الثوب الذي يلي الجسد، فالأصل المتدثر فأدغم التاء في الدال لتقاربهما في النطق[(٣)]، وبها قرأ أُبي على الأصل (المتدثر)[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب بدء الخلق، باب **إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه** ٦/ ٣١٤، برقم: ٣٢٣٨، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ٢/ ٢٠٦.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤٤٠، فتح الباري ١/ ٢٨، ٨/ ٦٧٨، الإتقان: ١/ ٧٨، ٧٩، روح المعاني: ٢٩/ ١١٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٠٠، البحر المحيط: ٨/ ٣٧٠.

(٤) ينظر: مختصر في شواذ القرآن ١٦٤، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٥٩.

Twitter: @almosahm

نودي النبي ﷺ بوصف مشتق من حاله التي كان عليها، تأنيساً له وملاطفة في الخطاب معه، ولم يناد باسمه ليستشعر اللطف والتكريم من ربه [(١)]، وقد سبق مثل هذا في الحديث عن ندائه بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

وقوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾، قيل: المراد قم قيام عزم وتصميم ومبادرة وامتثال، وقيل: بل المعنى على الحقيقة فإنه كان مضطجعاً متدثراً بثوب أو رداء، ولا مانع أن يراد هنا المعنى الحقيقي مع المعنى المجازي، الذي يحصل منهما القيام بهذا الأمر والنشاط فيه، وجاء الفاء في قوله: ﴿فَأَنذِرْ﴾؛ لإفادة التعقيب للشروع في الإنذار المأمور به، ولم يقل هنا: وبشر؛ لأنه كان في ابتداء النبوة؛ لأن غالب أحوال الناس يومئذ محتاجة إلى الإنذار والتحذير، أو هو من باب الاكتفاء؛ لأن الإنذار يلزم منه ما يقابله وهو التبشير [(٢)].

❑❑❑

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٥، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٦١، البحر المحيط ٨/ ٣٧٠، روح المعاني ٢٩/ ١١٦، تفسير التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٩٤.

(٢) ينظر: حاشية الخفاجي ٩/ ٣٢٠، روح المعاني ٢٩/ ١١٦، تفسير التحرير والتنوير: ٢٩/ ٢٩٤، ٢٩٥.

Twitter: @almosahm

المبحث الرابع:

ما قيل: إنه نداء للنبي ﷺ وهو ليس كذلك

ومما قيل إنه نودي فيه قوله تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ ﴾[(١)]، حيث ذهب بعض[(٢)] المفسرين إلى أن ﴿ طه ﴾ اسم للنبي ﷺ، نودي به في هذه الآية ومثله ﴿ يسٓ ﴾ . روي هذا عن سعيد بن جبير ومحمد بن الحنفية[(٣)]، وعزاه السيوطي لخلائق من المفسرين والمحدثين[(٤)]، كأنه يقول لنبيه: يا طاهراً من الذنوب، يا هادي الخلق إلى علام الغيوب، وقيل: (طاء) يا طامع الشفاعة للأمة، (هاء) يا هادي الخلق إلى الله، وقيل: (طاء) يا طيب، (هاء) يا هادي.

أما ﴿ يسٓ ﴾ فقيل: يا سيد مخاطباً ومنادياً رسوله ﷺ، فالياء للنداء، والسين إشارة إلى لفظ (سيد) وقد قال – عليه الصلاة

---

(١) سورة طه، الآيات: ١-٣.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ٢٢/ ٣، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٦، التكملة والإتمام ١٢٦، ١٥٩، تفسير التحرير والتنوير ١٦/ ١٨٣.

(٣) ينظر لقولهما: نسيم الرياض وشرح الشفا ١/ ١٩١، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٤، ٥، النكت والعيون: ٥/ ٥.

(٤) ينظر: الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٧٢.

Twitter: @almosahm

والسلام: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» [(١)] ، فاكتفي بفاء الكلمة لدلالتها على باقيها، وهذا مذهب العرب في كلامهم وأشعارهم.

حكى سيبويه عن بعض العرب «من يقول ألا تا، بلى فا» فإنما أرادوا: ألا تفعل، بلى فافعل» [(٢)] وفي الأثر: «كفى بالسيف شا» [(٣)] أي شاهداً.

وقيل المراد من ﴿ طه ① ﴾ ، ﴿ يسّ ﴾ يا إنسان، ولما كان الإنسان اسماً لعموم أفراد الإنس، أراد به محمداً ؛ ﷺ، لأنه أكملهم وأفضلهم [(٤)] .

واستدلوا بما رواه أبو الطفيل عنه ﷺ قال: «**لي عند ربي عشرة أسماء**» وعد منها: ﴿ طه ﴾ ، ﴿ يسّ ﴾ [(٥)] . وقد جاء في الشعر ما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ ٦/ ٣٧١، برقم: ٣٣٤٠ واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ٧/ ٥٩، عن أبي هريرة – رضي الله عنه.

(٢) الكتاب: ٣/ ٣٢١.

(٣) ينظر: نسيم الرياض وشرح الشفا ١/ ١٩٠ غير معزو.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٧، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٥، ١٦٦، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٣١٦، ٣٣٦، نسيم الرياض وحاشيته شرح الشفا للقاري ١/ ١٨٩-١٩٢.

(٥) رواه أبو نعيم في الدلائل ١/ ٦٨، وذكره الخفاجي في نسي الرياض والقاري في شرح الشفا ١/ ١٨٩، والسيوطي في الرياض الأنيقة ٢٩ وعزوه لابن مردويه في تفسيره، والديلمي في تفسيره وذكر نحوه الماوردي في تفسيره ٥/ ٥، عن علي – رضي الله عنه – مرفوعاً، وقال محققه: «لم يصح هذا الحديث».

Twitter: @almosahm

يعضده، وهو قول الشاعر [١]:

يـــا نفـــس لا تمحـــضي بالنـــصح جاهـــدة

علـــــى المـــــودة إلا آل ياســـــينا

يريد: إلا آل محمد ﷺ.

ولا يخفى أن هذا القول في غاية الضعف والتكلف، ولا دليل عليه، وما استدلوا به وهو حديث أبي الطفيل موضوع، في سنده وضَّاع وضعيف [٢].

وقيل ﴿طه﴾ و ﴿يسّ﴾ اسمان من أسماء الله تبارك وتعالى، روي هذا عن ابن عباس [٣]. وقيل: هما بمعنى يا رجل، كلمة

---

(١) قائله: السيد الحميري، ينظر نسيم الرياض وشرح الشفا ١/ ١٨٩ ولم أقف عليه في ديوانه بعد البحث بتحقيق شاكر هادي شكر، منشورات مكتبة الحياة – بيروت.

(٢) أما الوضَّاع فإسماعيل بن يحيى التميمي، قال أبو حاتم: يروي الموضوعات عن الثقات لا تحل الرواية عنه. وقال الدار قطني: كذاب متروك، وقال الأزدي: ركن من أركان الكذب لا تحل الرواية عنه. أما الضعيف فسيف بن وهب، قال الإمام أحمد: ضعيف الحديث، وقال يحيى: كان هالكاً من الهالكين، وقال النسائي: ليس بثقة، ينظر: إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٦٣، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٣/ ١٤٨٣. وينظر فيمن حكم على الحديث بأنه ضعيف أو موضوع لا يصح: الرياض الأنيقة ٣٠، نسيم الرياض وشرح الشفا ١/ ٣١٦، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٣/ ١٤٨٢، ١٤٨٣.

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٣، ٢٢/ ٩٧، وانظر نسيم الرياض وشرح الشفا ١/ ٢٣١، الرياض الأنيقة ٢٠٥، تفسير التحرير والتنوير ١٦/ ١٨٣، الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ١٦٦، ١٦/ ٤.

Twitter: @almosahm

معروفة في عك، معناها عندهم: يا رجل، قال الشاعر [١] :

هتفت بطه في القتال فلم يجب

فخفت عليه أن يكون موائلا

وقال آخر [٢]:

إن السفاهة طه من خلائقكم

لا بارك الله في القوم الملاعين

واختار هذا القول ابن جرير الطبري وعزاه إلى جماعة من الصحابة والتابعين [٣].

وقيل: هما من الحروف المقطعة التي في أوائل السور، وهي مما استأثر الله بعلمه [٤]، وقال بعضهم: بل كل حرف منها يدل على معنى، فـ(ط) شجرة طوبى، والهاء الهاوية، أراد الجنة والنار، وقيل: الطاء: طهارة أهل البيت، والهاء: هدايتهم، وقيل: الطاء: طبول

---

(١) قائلة: متمم بن نويرة، كما نسبه إليه الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٣.

(٢) لم أقف على قائله بعد البحث، ينظر: جامع البيان: ١٦/ ١٠٣، الكشاف: ٢/ ٥٢٨.

(٣) ينظر جامع البيان ١٦/ ١٠٣، ٢٢/ ٩٧، وانظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٤٩، ٤/ ٢٧٧، التكملة والإتمام ١٢٦، ١٥٩، التفسير الكبير ٢٢/ ٣، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٥، ١٦٦، ١٥/ ٤.

(٤) ينظر: جامع ألبيان ١٦/ ١٠٣ معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٤٩، ٤/ ٢٧٧، البحر المحيط ٦/ ٢٢٤، التفسير الكبير ٢٢/ ٢، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٥. روح المعاني ١٦/ ١٤٨.

Twitter: @almosahm

الغزاة، والهاء: هيبتهم في قلوب الكفار، قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ [١]، وقيل: الطاء طرب أهل الجنة في الجنة، والهاء هوان أهل النار في النار، وقيل معنى طه: طوبى لمن اهتدى [٢].

وقيل: هما اسمان من أسماء القرآن [٣]، وقيل هما اسمان لهاتين السورتين [٤].

وقيل: روي أنه – عليه الصلاة والسلام كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه، ويرفع الأخرى من طول القيام، فأمر أن يطأ الأرض بقدميه معاً، ولا يتعب نفسه بالاعتماد على قدم واحدة، وكأن الأصل طأ، فقلبت همزته هاء، كما قالوا: هياك في إياك، وهرقت في أرقت، ويجوز أن يكون الأصل من وطي على ترك الهمزة فيكون الأمر أصله: ط يا رجل، ثم أثبت الهاء فيها للوقف [٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ٢٢/ ٣، نسيم الرياض، وشرح الشفا ١/ ٢٣٢، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٦، ١٦٧.

(٣) رواه الطبري عن قتادة ٢٢/ ٩٧، وانظر: النكت والعيون ٥/ ٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٧، التكملة والإتمام ١٢٦، روح المعاني ١٦/ ١٤٨، تفسير التحرير والتنوير ١٦/ ١٨٣.

(٥) ينظر معاني القرآن وإعربه ٣/ ٣٤٩، التفسير الكبير ٢٢/ ٣.

Twitter: @almosahm

والذي يظهر لي أن ﴿ طه ﴾ و﴿ يسٓ ﴾ من الحروف المقطعة التي استأثر الله بعلمها، مما افتتح بها بعض سور القرآن.

أما القول بأنها معلومة المعنى فظاهر فيه التكلف، وليس لهم دليل على صحة ما ادعوه، وليسا اسمين للنبي ﷺ، قال ابن القيم: «وأما ما يذكره العوام أن يس وطه من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا أثر عن صحابي، وإنما هذه الحروف مثل: ﴿ الٓمٓ ﴾ ، ﴿ حمٓ ﴾ ، ﴿ الٓرٰ ﴾، ونحوها [(١)] .

- **مسألة:**

ومما جاء فيه نداء النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [(٢)].

قال مقاتل: «نزلت في عبدالله بن أمية والنضر بن الحارث ونوفل بن خويلد والوليد بن المغيرة» [(٣)] خاطبوا النبي ﷺ بهذا الوصف مع

---

(١) تحفة الودود بأحكام المولود ١١٦، ١١٧، واختار هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢٢٤، وابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير ١٦/ ١٨٣، وانظر: معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد ٣٦٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٤٤٦، روح المعاني ١٤/ ١٢.

Twitter: @almosahm

أنهم كفرة لا يعتقدون نزول شيء عليه استهزاء وتهكماً وسخرية، كما قال عز وجل – حكاية عن فرعون: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١)(٢).

ومرادهم من قولهم: ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ أي: يا من تدعي مثل هذا الأمر العظيم الخارق للعادة إنك بسبب تلك الدعوى متحقق جنونك على أتم الوجوه، وهذا كما يقول الرجل لمن يسمع منه كلاماً يستبعده: أنت مجنون، وقيل: حكمهم هذا لما كان يظهر عليه ﷺ من شبه الغشي حين ينزل عليه القرآن (٣).

وذهب بعضهم إلى أن المقول هو الجملة المؤكدة فقط ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ دون النداء، أما النداء فهو من كلام الله تعالى، تبرئة له – عليه الصلاة والسلام – عما نسبوه إليه، لكن رد هذا بأنه خلاف الظاهر، فالكل من كلامهم، ولأن فيه تفكيكاً للكلام واعتراضاً لا دليل عليه، وقد سبقهم في هذا فرعون بقوله في حق –

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٧.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/ ٣٨٧، التفسير الكبير ١٩/ ١٦٢، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤، تفسير التحرير والتنوير ١٤/ ٦.

(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٣٨٧، التفسير الكبير ١٩/ ١٦٢، حاشية الخفاجي ٥/ ٤٩٧، ٤٩٨، روح المعاني ١٤/ ١٢.

Twitter: @almosahm

موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [١].

قيل: وتقديم الجار والمجرور (عليه) على نائب الفاعل (الذكر)؛ لأن إنكارهم متوجه إلى كون النازل ذكراً من الله تعالى، لا إلى كون المنزل عليه رسول الله ﷺ، كما في قوله سبحانه: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ﴾ [٢]، فإن الإنكار هنا متوجه إلى كون المنزل عليه رسول الله – عليه الصلاة والسلام [٣].

(١) ينظر: حاشية الخفاجي ٥/ ٤٩٨، روح المعاني ١٤/ ١٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣١.

(٣) ينظر: روح المعاني ١٤/ ١٢.

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

الفصل الثاني:

ما يعقب نداءه – عليه الصلاة والسلام – والمعاني التي تضمنها

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

المبحث الأول:

ما يعقب النداء في القرآن الكريم

يعقب النداء غالباً الأمر والنهي والاستفهام، وكأنه يعد النفس ويهيؤها لتلقي تلك الأساليب وما تتضمنه من المعاني؛ لأن النداء يوقظ النفس ويلفت الذهن وينبه المشاعر، فإذا جاء بعده الأمر أو النهي أو الاستفهام صادف نفساً مهيأة يقظة مستعدة للقبول والامتثال، كما أنه دليل على اهتمام المتكلم وعنايته بهذا الطلب وحرصه الأكيد على تنفيذه وأدائه.

لذا فقد كثر في القرآن الكريم مصاحبة النداء لهذه الأساليب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [(٢)]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ ﴾ [(٣)].

وقد بالغ الكوفيون حين ادعوا أن النداء لا ينفك عن الأمر أو ما

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٣) سورة الصف، الآية: ١٠.

Twitter: @almosahm

جرى مجراه من الطلب والنهي، قالوا: «ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهي، ولهذا لما جاء بعده الخبر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ ﴾ [١]، شفعه الأمر في قوله: ﴿ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ [٢].

ومما يبطل قولهم كثرة مجيء الخبر مع النداء دون أن يشفعه أمر، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٥].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٣.

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ١٠٣.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٥) سورة يونس، الآية: ٢٣.

Twitter: @almosahm

وأحسن من قول الكوفيين وأكثر دقة قول الزمخشري: «كل نداء في كتاب الله تعالى يعقبه فهم في الدين، إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين، وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى، كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلق لأجله، وقامت السموات والأرض به، فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة»[(١)] [(٢)].

❑❑❑

(١) هو بهذا اللفظ في البرهان في علوم القرآن، ٢/ ٣٢٤، وانظر: الكشاف ١/ ٢٢٦.

(٢) ينظر لما سبق: أسلوب الإنشاء في سور المفصل ٣٦٥، ٣٦٦.

Twitter: @almosahm

المبحث الثاني:

ما يعقب نداءه – عليه الصلاة والسلام – في القرآن

جاء نداء الله عز وجل نبيه – عليه الصلاة والسلام – في القرآن في سبعة عشر موضعاً جاء في غالبها بعد النداء الطلب، ففي عشرة مواضع منها جاء عقيب ندائه – عليه الصلاة والسلام – الأمر، وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(١)]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

Twitter: @almosahm

جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ [٥].

وفي موضعين جاء عقيب ندائه النهي، إما مباشرة، وهو قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٤) سورة المزمل، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ١، ٢.

Twitter: @almosahm

﴿ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[١]. وإما معطوفاً على الأمر، وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[٢]، وفي موضع واحد جاء عقيب ندائه – عليه الصلاة والسلام – الاستفهام، وذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾[٣].

فمجموع هذه المواضع على وجه الإجمال اثنا عشر موضعاً جاءت وفق ما قررته آنفاً من أن النداء يعقبه غالباً الأمر – وهو الأكثر – والنهي والاستفهام، وكأن النداء يهيئ النفس ويعدها لقبول ما يطلب منها وامتثالها بعد ذلك، وكل هذه الأوامر التي طلب من النبي ﷺ امتثالها والقيام بها أوامر عظيمة، وهو الإمام والقدوة فيها لأمته، كما أنه الحقيق والجدير بالنهوض بها وأدائها كما أمر، فلا غرو حينئذ أن يأتي النداء بوصفه الشريف (النبي) أو (الرسول) أو ما يناسب حاله التي كان عليها، (المزمل)، (المدثر)، على سبيل العطف عليه والتلطف معه، مما يدل على رفعة قدره وعظيم منزلته عند ربه.

ومثل ذلك حين يأتي ما ينهى عنه، وهو الحزن بسبب مسارعة

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(٣) سورة التحريم، الآية: ١.

Twitter: @almosahm

الكفار في كفرهم وتعلقهم بدينهم الباطل، أتى النداء بوصفه الشريف (الرسول) تأكيداً عليه وتذكيراً له للقيام بأداء مهمة الرسالة ودعوة الناس إلى هذا الدين، ولا يحزن إن قوبل بما ذكره الله عز وجل عنهم في الآية بعده، ومثله أيضاً تقديم ندائه – عليه الصلاة والسلام بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ في مفتتح عتابه وسؤاله ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ ، وفي هذا من حسن التلطف معه والتنويه بشأنه ما لا يخفى، ونظير هذا تقديم العفو على العتاب في قوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ (١).

أما المواضع التي جاء فيها عقيب ندائه – عليه الصلاة والسلام – الخبر فخمسة، اثنان منها جاء جملة شرطية، وهما قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ (٣).

والثلاثة الأخيرة هي: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

Twitter: @almosahm

﴿ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [١]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [٣].

وبالتأمل في هذه الآيات الخمس تبين لي أن لها ارتباطاً وثيقاً بما سبق، فبيعة النساء النبي ﷺ على ما ذكر في الآية هو رسالة النبي ﷺ التي أمر بإبلاغها وعدم التواني في دعوة الناس إليها، ويناسب هذا أيضاً ما ذكر في سورة الأحزاب من أركان رسالته وبعض صفاته التي تناسب هذا المقام العظيم، أعني: مقام النبوة وإبلاغ الرسالة.

أما قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٤]، فمناسب غاية المناسبة لما بعده من الحث

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

Twitter: @almosahm

على الجهاد في سبيل الله وذكر بعض أحكامه، مهد لقبولها وامتثالها التأكيد على أن الله كاف وحافظ وناصر رسوله ﷺ واتباعه المؤمنين، وهذا مما يسبغ عليهم الثقة بموعود الله، والطمأنينة بنصره إياهم على أعدائهم.

أما الآيتان اللتان تضمنتا ذكر بعض أحكام النساء، سواء ما يختص به – عليه الصلاة والسلام – كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾ ، أو ما يشترك معه أفراد أمته كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ ، فقد تضمنتا بعض أحكام هذه الشريعة السماوية التي أمر بتبليغها ودعوة الناس إليها.

❑❑❑

Twitter: @almosahm

المبحث الثالث:

المعاني التي تضمنها نداؤه ﷺ

يمكننا بعد النظر في الآيات التي نادى فيها ربنا جل وعلا نبيه المصطفى وحبيبه المجتبى ﷺ، أن نجمع معانيها التي تضمنتها فيما يلي:

أولاً: الأمر بإبلاغ الرسالة وما يتعلق بها، كالحذر من معوقاتها، مع بيان أركان هذا الرسالة وصفات المرسل بها، والبيعة عليها، دل على ذلك الآيات الكريمة التالية:

- قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[1].
- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾[2].
- قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة المدثر، الآيتان: ١، ٢.

Twitter: @almosahm

فَٱحْذَرُوٓاْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ (١).

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢).

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (٣).

ثانياً: الحث على الجهاد في سبيل الله عز وجل وما يتصل به، كبيان بعض أحكامه، مع التصديق بموعود الله والثقة بنصره وتأييده لرسوله والمؤمنين وكفايته ورعايته لهم، يدل على ذلك الآيات الكريمة التالية:

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

Twitter: @almosahm

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[2].

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

ثالثاً: الأمر بتقوى الله عز وجل ورعايتها بنوافل الطاعات والقربات، والبعد عما يعارضها ويخالف مقتضاها، دل على ذلك الآيات الكريمة التالية:

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١.

Twitter: @almosahm

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ (١).
- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ (٢).

رابعاً: بيان بعض الأحكام المتعلقة بالنساء، سواء ما كان خاصاً به – عليه الصلاة والسلام – مع أهله، كتخييرهن بين البقاء معه أو تخلية سبيلهن، وبيان ما أحل الله له من النساء وما اختاره له وخصه به، أو ما يشترك فيه معه أفراد الأمة، كالأمر بالحجاب وبيان بعض أحكام الطلاق، دل على هذا الآيات الكريمة التالية:

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (٣).
- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١.

(٢) سورة المزمل، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

Twitter: @almosahm

أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾[2].

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾[3].

وقد سبق في الفصل الأول بيان معاني هذه الآيات وما تضمنته من أحكام شرعية ولطائف بيانية ونكات بلاغية.

❐❐❐

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

Twitter: @almosahm

الفصل الثالث:

خصائص نداء النبي ﷺ في القرآن

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

المبحث الأول:

نداؤه – عليه الصلاة والسلام – بالوصف لا باسمه العلم

إن افتتاح الكلام بالنداء يدل على الاعتناء بما سيلقى على المخاطب، وكأنه يعد نفسه ويهيؤها لذلك، فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحس واع وذهن منتبه، ثم إن نداء المخاطب بوصفه الشريف دليل على سموه وفضله على غيره.

وهذا ما اختص به النبي ﷺ عن غيره حيث نودي بوصفه (الرسول) في آيتين، و(النبي) في ثلاث عشرة آية؛ تشريفاً وتكريماً له، ودلالة على رفعة قدره وعظيم منزلته عند ربه، وحثاً له على تبليغ رسالة ربه ودعوة الناس إلى هذا الدين، وغيره من الأنبياء نودي باسمه العلم.

قال العز بن عبدالسلام: «نداء النبي بالنبوة فيه فائدة التفخيم والإكرام، والحث على الطاعة والإذعان؛ شكراً لنعمة النبوة. والنداء بالرسالة فيه الفائدتان المذكورتان في النداء بالنبوة، مع التأكيد بذكر الرسالة، وهي من النعم الجسام؛ لأنها تستلزم النبوة وتحث على تبليغ الرسالة، فما أحسن قوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[1].

---

(١) ينظر: الإشارة إلى الإيجاز، ص٣٣٣.

Twitter: @almosahm

ونودي أيضاً بوصفين مشتقين من حالته التي كان عليها؛ تأنيساً وملاطفة له، وتثبيتاً وتقوية لفؤاده، وهما (المزمل)، (المدثر)، ولا يخفى ما ينطوي عليه العدول عن ندائه باسمه إلى ندائه بهذه الصفات من دلالة على سمو مكانته عند من يخاطبه، وتعريفاً لجلالة قدره وعظيم منزلته عند غيره.

وقد أبان هذا بعض المفسرين فيما سبق وقرروه، وذكروا ما تضمنته تلك الآيات من لطائف بيانية ونكات بلاغية تقوي هذا الغرض وتؤكد هذا المعنى [(١)].

وقد أمر الله تعالى المؤمنين ألا ينادوا الرسول ﷺ باسمه، كما ينادي بعضهم بعضاً، فلا يقولوا له: (يا محمد) بل يقولوا: (يا رسول الله) أو (يا نبي الله)، وحتى في هذا الأمر نفسه لم يجئ في القرآن ذكر اسمه، بل استبدل به صفة الرسول، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [(٢)]، وقد جاء سبب نزول الآية

---

(١) ينظر: نداء المخاطبين في القرآن أسراره وبلاغته للدكتور علي عبدالواحد وافي ضمن مجلة كلية اللغة العربية – بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – العدد الثامن ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص٨٥، ٩٠-٩٢، وينظر الإشارة إلى الإيجاز، ص٣٣٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

Twitter: @almosahm

ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [(١)]، فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله» [(٢)].

ففي هذا تعظيم وتوقير له – عليه الصلاة والسلام – مع التواضع وخفض الصوت بذلك، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [(٣)].

قال بعض المفسرين: أمرهم الله أن يدعوه: يا رسول الله يا نبي الله في لين وتواضع ولا يصيحوا به من بعيد يا أبا القاسم، ولا ينادوه: يا محمد في تجهم [(٤)]، بل أمر الله سبحانه أن يبجل ويعظم ويفخم ويشرف، بأن يتعلم الأدب في مناداته والحديث معه – عليه الصلاة والسلام [(٥)].

❑❑❑

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٢) ذكره السيوطي في لباب النقول: ١٦٢، الدر المنثور ٦/ ٢٣٠، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل عنه.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٤) تجهم: أي في وجه غليظ كريه، القاموس (جهم) ٤/ ٩٢.

(٥) روي هذا عن مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وغيرهم، ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٠٦، ٣٠٧، الدر المنثور ٦/ ٢٣٠، ٢٣١.

Twitter: @almosahm

المبحث الثاني:

التزام ندائه – عليه الصلاة والسلام – بـ: (يا أيها)

كثيراً ما يجيء النداء في القرآن بـ(يا) المتلوة بـ(أيها) [١] ، وللزمخشري تحليل بديع وكشف عن سر كثرة هذا التركيب في القرآن، حيث يقول: «وأي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام .. وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه، يتصف به حتى يضح [٢] المقصود بالنداء، فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أي، والاسم التابع له صفته، كقولك: يا زيد الظريف، إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد، فلم ينفك من الصفة.

وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها، لفائدتين: معاضدة حرف النداء ومكانفته [٣] بتأكيد معناه، ووقوعها عوضاً مما يستحقه، أي: من الإضافة.

---

(١) ينظر في الحديث عنها: مغني اللبيب ١/ ٧٨، الإتقان ١/ ٥٠١.

(٢) من الوضوح، أي: يتضح.

(٣) مكانفته: إعانته وحفظه، القاموس (كنف) ٣/ ١٩٢.

Twitter: @almosahm

فإن قلت: لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد [١] وأسباب من المبالغة؛ لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واختصاص [٢] أخبار الأمم الدراجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام [٣] وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ» [٤].

وللرازي تفريق دقيق بين النداء بـ(يا) و(يا أيها)، وبيان السر البياني في اختصاص ندائه – عليه الصلاة والسلام – بـ(يا أيها) والمراد منه، حيث يقول: «قول القائل: يا رجل يدل على النداء، وقوله: يا أيها الرجل يدل على ذلك أيضاً، وينبئ عن خطر خطب المنادى له أو غفلة المنادى .. ولأن قوله: (يا أي) جعل المنادى غير معلوم أولاً، فيكون كل سامع متطلعاً إلى المنادى، فإذا خص

---

(١) قال صاحب حاشية الإنصاف على الكشاف: «هي تكرار الذكر، والإيضاح بعد الإبهام واختيار لفظ البعيد وتأكيد معناه بحرف التنبيه» ١/ ٢٢٦.

(٢) هكذا في الكشاف، وفي الاتقان، ٢/ ٨٩٧ فيما نقله عنه و(اقتصاص).

(٣) خبر (لأن) السابقة.

(٤) الكشاف ١/ ٢٢٥، ٢٢٦.

Twitter: @almosahm

واحداً كان في ذلك إنباء الكل لتطلعهم إليه، وإذا قال: يا زيد أو يا رجل لا يلتفت إلى جانب المنادى إلا المذكور، إذا علم هذا فنقول: (يا أيها) لا يجوز حمله على غفلة النبي ﷺ؛ لأن قوله: (النبي) ينافي الغفلة؛ لأن النبي -عليه السلام - خبير فلا يكون غافلاً، فيجب حمل على خطر الخطب»[1].

❑❑❑

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ١٩٠، وانظر: المصدر نفسه ٢/ ٩٢، تفسير أبي السعود ١/ ٥٨، حاشية زاده على تفسير البيضاوي ١/ ١٧٧، ١٧٨.

Twitter: @almosahm

المبحث الثالث:

الفرق بين ندائه – عليه الصلاة والسلام – والإخبار عنه

جاء نداء النبي ﷺ بوصفه الشريف (الرسول) أو (النبي) تكريماً وتقديراً له وتنويهاً بفضله ودلالة على رفعة مكانته وعلو منزلته عند ربه، وليربأ بمقامه الشريف عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره.

وهذا بخلاف الإخبار عنه، فقد يجيء بهذا الوصف كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ ﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [٥].

وقد يجيء الإخبار عنه باسمه العلم مع إضافة صفة الرسول إليه وذلك في آيتين، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

Twitter: @almosahm

﴿ ٱلرُّسُلُ ﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٢].

وقد يجيء الإخبار عنه باسمه العلم مع الإشارة إلى رسالته، وذلك في آيتين، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [٣]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ [٤].

وفي بيان سبب إيثار نداء الرسول – عليه الصلاة والسلام – بوصفه الشريف وعدم التزام ذلك في الإخبار عنه، يقول الزمخشري: «قلت: إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار، في قوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [٥]، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [٦].

قلت: ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله، وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به، فلا تفاوت بين النداء والإخبار، ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتقين من الإخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٤) سورة محمد، الآية: ٢.
(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

Twitter: @almosahm

النداء، ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [١]، ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ ﴾ [٢]، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [٣]، ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [٤]، ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [٥]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾ [٦]، ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ ﴾ [٧] [٨].

مراده: أن تلك المقامات يقصد فيها تعليم الناس بأن صاحب هذا الاسم هو رسول الله الواجب الإيمان به واتباعه، أو تلقين لهم بأن يسموه بهذا الوصف وينادوه به.

وقد تُعقب الزمخشري فيما ذكر بأن أمر التعليم والتلقين في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ ظاهر، أما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ فلا، على أن قوله تعالى: ﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ ينقض ما بناه.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٢.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٨١.

(٨) الكشاف ٣/ ٢٤٨، وانظر: البحر المحيط: ٧/ ٢١٠، تفسير التحرير والتنوير ٢١/ ٢٥٠.

Twitter: @almosahm

نعم النداء يناسب التعظيم، وربما يكون نداء سائر الأنبياء – عليهم السلام – في كتبهم أيضاً على نحو منه، وجاء في القرآن بأسمائهم دفعاً للإلباس [١].

واختار الطيبي أن النداء بهذا الوصف الشريف؛ للاحتراس وجبر ما يوهمه الأمر والنهي الذي يعقب هذا النداء، كتقديم العفو قبل العتاب في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [٢][٣].

لكن ما ذكره لا يشمل جميع نداءاته – عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [٥].. الآية. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [٦]؛ لأن ما بعد هذه النداءات أخبار.

❐❐❐

(١) ينظر: روح المعاني ٢١/ ١٤٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٣.
(٣) ينظر: روح المعاني ٢١/ ١٤٣.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

Twitter: @almosahm

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإنني بعد الفراغ من كتابة هذا البحث عن نداء الله عز وجل نبينا – عليه الصلاة والسلام – في القرآن، وقفت على الكثير من الثمرات المباركة والنتائج الطيبة، أجملها فيما يلي:

- أن الله عز وجل امتن على هذه الأمة ببعثة نبينا – عليه الصلاة والسلام – وأنزل عليه أفضل كتبه القرآن الكريم، وأوجب على الأمة الإيمان به ومحبته وطاعته.
- عظَّم الله سبحانه منزلة رسوله – عليه الصلاة والسلام – عنده وأعلى قدره، وخصه بفضائل ومحاسن تدل على شرفه ورفعة مكانته، وأثنى عليه بها، والعلم بهذا يزيد القلب إيماناً به ومحبة وطاعة وتوقيراً له.
- وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على سمو مكانته، وعلو مرتبته عند ربه، ومن ذلك نداؤه بوصفه الشريف (الرسول) في موضعين، و(النبي) في ثلاثة عشر موضعاً، كما نودي أيضاً بوصفين مشتقين من حالته التي كان عليها؛ تأنيساً ولطفاً به، وهما: المزمل، المدثر.
- رجحت ما اختاره المحققون من أهل العلم من أن (طه) و(يس)

Twitter: @almosahm

ليسا اسمين للنبي ﷺ، إنما هما من الحروف المقطعة التي استأثر الله بمراده منها.

- جاء نداء الكفار لنبينا ﷺ في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [1]، استهزاءً وتهكماً وسخرية به، أما قول من قال: إن النداء من الله، وإنما قولهم هو: ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ فتفكيك للكلام، ظاهر فيه التكلف.
- تضمنت الآيات التي نودي فيها - عليه الصلاة والسلام الكثير من الأحكام الشرعية مما هو خاص به عليه الصلاة والسلام، أو ما يشترك معه فيه أفراد أمته.
- في العلم بأساليب ندائه عليه الصلاة والسلام وما تضمنته في هذه الآيات من نكات بلاغية ولطائف بيانية تخدم هذا الغرض - وجوب الأدب معه - عليه الصلاة والسلام - واحترامه وتوقيره، فلا ينادى باسمه المجرد، ولا يرفع الصوت فوق صوته، ولا يتقدم على سنته برأي أو هوى، بل لا بد من محبته واتباعه وإجلاله ودعوة الناس إلى سنته.
- جاء في سبب نزول بعض الآيات جملة من الأقوال، ولا شك أن العلم بها ومعرفتها معين على فهم الآية، فالعلم بالسبب معين على معرفة المسبب.
- الغالب في القرآن الكريم إتيان الأمر والنهي والاستفهام بعد

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٦.

Twitter: @almosahm

النداء، خلافاً للكوفيين الذين يرون وجوبه، وسبب كثرته أنه يعد النفس ويهيئوها لتلقي ما يقال لها، فإذا جاء بعده الأمر – وهو الأكثر – والنهي والاستفهام قابل نفساً مستعدة للقبول والانقياد، ومن ذلك ما جاء في نداء الله نبيه – عليه الصلاة والسلام.

- جاء نداء نبينا – عليه الصلاة والسلام بوصفه الشريف، وكذا في معظم الإخبار عنه، وقد يجيء الإخبار عنه باسمه العلم مع إضافة صفة الرسول إليه، أو الإشارة إلى رسالته، وقد سبق بيان هذا.
- ظهر فيما سبق جرأة الزمخشري ومن تبعه على مقام النبوة، وسوء تعبيره مع النبي ﷺ، واتهامه بما يبرأ عنه آحاد أمته، فكيف به – عليه الصلاة والسلام.
- تبين لنا أن المعاني التي تضمنها نداؤه – عليه الصلاة والسلام – تجتمع في أربعة أمور: الأمر بإبلاغ الرسالة وما يتعلق بها. الحث على الجهاد في سبيل الله عز وجل وما يتصل به. الأمر بتقوى الله سبحانه ورعايتها. بيان بعض الأحكام المتعلقة بالنساء، سواء كان خاصاً به عليه الصلاة والسلام مع أهله، أو ما يشترك معه فيه أفراد أمته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

ثبت المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن – عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – بعناية مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير – دمشق وبيروت – الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- أحكام القرآن – محمد بن عبدالله بن العربي – تحقيق علاء محمد البجاوي – دار الفكر – بيروت.
- أسباب النزول – علي بن أحمد الواحدي – تحقيق أحمد صقر – دار القبلة – جدة – مؤسسة علوم القرآن – بيروت – الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- أسلوب الإنشاء في سور المفصل – رسالة ماجستير مقدمة من المعيد عبدالمحسن العسكر لكلية اللغة العربية بالرياض: ١٤١٣هـ.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز – عبدالعزيز عبدالسلام – تحقيق محمد بن الحسن بن إسماعيل – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الأشباه والنظائر في النحو – عبدالرحمن السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

Twitter: @almosahm

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين – أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري – بعناية محي الدين عبدالحميد – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أنوار التنزيل مطبوع بحاشية الشيخ زاده – القاضي البيضاوي. دار: إحياء التراث العربي – بيروت.
- البرهان في علوم القرآن – بدر الدين محمد الزركشي – تحقيق محمد إبراهيم – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية.
- التبصرة في القراءات السبع – مكي بن أبي طالب القيسي – تحقيق محمد غوث – الدار السلفية – الهند – الطبعة الثانية – ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- تحفة الودود بأحكام المولود – محمد بن أبي بكر المشهور بابن القيم – تحقيق عبدالغفار البدراني – دار الريان – القاهرة.
- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين – محمود الحداد – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ - ١٩٧٨م.
- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في تفسير الكشاف – عبدالله بن يوسف الزيلعي – بعناية سلطان بن فهد الطبيشي

Twitter: @almosahm

– دار ابن خزيمة الطبعة الأولى: ١٩٩٠م.

- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام – عبدالرحمن السهيلي – تحقيق عبدالله النقراط منشورات كلية الدعوة – طرابلس – الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٩٢م.
- تفسير القرآن العظيم – عبدالرحمن بن أبي حاتم – تحقيق أسعد الطيب – الناشر مكتبة نزار بالباز – الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.
- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – محمد بن محمد العمادي أبو السعود – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير البحر المحيط – أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي – دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- تفسير التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور – مطبعة عيسى البابي الحلبي – ١٩٦٤م.
- التفسير الكبير – الفخر الرازي – دار الكتب العلمية – طهران – الطبعة الثانية.
- تفسير القرآن عبدالرزاق بن همام الصنعاني – تحقيق

Twitter: @almosahm

مصطفى مسلم – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل ابن كثير – دار المعرفة – بيروت.
- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار – محمد رشيد رضا – دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية.
- التكملة والإتمام لكتاب التعريف والإعلام فيم أبهم من القرآن – محمد علي بن عساكر – تحقيق أسعد محمد الطيب – الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
- التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز – علي بن عمر السكوني مخطوط في المكتبة المركزية – بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – قسم المخطوطات ٤٩٠٢ تفسير.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبدالرحمن السعدي – مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري –

Twitter: @almosahm

دار المعرفة – بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق محمود وأحمد شاكر – دار المعارف – مصر.
- الجامع لأحكام القرآن – أبو عبدالله القرطبي – تحقيق أحمد البردوني – دار الفكر بيروت.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة غاية القاضي وكفاية الراضي – أحمد بن محمد الخفاجي – دار صادر – بيروت.
- حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي – دار إحياء التراث العربي بيروت.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية – عبدالعظيم المطعني مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم – محمد عبدالخالق عضيمة – دار الحديث – القاهرة.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- دلائل النبوة – أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق

Twitter: @almosahm

عبدالرحمن محمد عثمان – دار النصر - القاهرة – الطبعة الثانية: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – أبو الفضل محمود الآلوسي – دار إحياء التراث العربي بيروت.
- الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة – عليه الصلاة والسلام – عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – تحقيق محمد بن بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- السبعة في القراءات – أبو بكر أحمد بن مجاهد – تحقيق شوقي ضيف – دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة.
- شرح التصريح على التوضيح – خالد الأزهري – دار الفكر – بيروت.
- شرح الشفا للقاضي عياض (بهامش نسيم الرياض) ملا علي القاري – المطبعة الأزهرية – مصر: ١٣٢٧هـ.
- شرح النووي على صحيح مسلم – يحيى بن زكريا النووي – دار الفكر – بيروت.
- صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج – دار المعرفة – بيروت.
- الصحيح المسند من أسباب النزول – مقبل بن هادي الوادعي

Twitter: @almosahm

– مكتبة المعارف – الرياض: ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي – بإشراف سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله تعالى – دار الفكر – بيروت.
- فتح القدير – محمد بن علي الشوكاني – دار الفكر – بيروت.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد – عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ – راجعه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – المكتبة السلفية – المدينة المنورة – الطبعة الخامسة – ١٣٩١هـ.
- القاموس المحيط – مجد الدين الفيروز آبادي – دار الفكر – بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف – أحمد بن حجر العسقلاني – دار المعرفة – بيروت، مكتبة المعارف، الرياض.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل – جار الله محمود بن عمر الزمخشري – دار المعرفة – بيروت.
- لباب النقول في أسباب النزول – جلال الدين عبدالرحمن

Twitter: @almosahm

السيوطي، دار إحياء العلوم – بيروت: ١٩٧٩م.

- لسان العرب – محمد بن منظور الإفريقي – المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة – دار صادر، بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – علي بن أبي بكر الهيثمي – مؤسسة المعارف بيروت: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم – مكبة ابن تيمية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – عبدالحق بن غالب بن عطية – تحقيق المجلس العلمي بفاس – توزيع مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
- مختصر في شواذ القرآن – الحسن بن أحمد بن خالوية – مكتبة المتنبي – القاهرة.
- المستدرك على الصحيحين – أبو عبدالله الحاكم – دار الكتاب العربي – بيروت.
- معاني القرآن وإعرابه – إبراهيم بن السري الزجاج – تحقيق عبدالجليل شلبي – عالم الكتب بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معجم البلدان – ياقوت بن عبدالله الحموي – دار إحياء

Twitter: @almosahm

التراث العربي – بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- معجم المناهي اللفظية – بكر بن عبدالله أبو زيد – دار ابن الجوزي الدمام، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – عبدالله بن هشام الأنصاري – بعناية محمد محي الدين عبدالحميد – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المفردات في غريب القرآن – الحسين بن محمد الراغب الأصهفاني – تحقيق محمد سيد كيلاني – شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة: ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- نداء المخاطين في القرآن الكريم – بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية – العدد الثامن: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، لعلي عبدالواحد وافي.
- النداء في اللغة والقرآن – أحمد بن محمد فارس – دار الفكر اللبناني – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض – أحمد بن محمد الخفاجي – المطبعة الأزهرية – مصر ١٣٢٧هـ.
- النشر في القراءات العشر – محمد بن محمد بن الجزري – تحقيق علي الضباع – دار الكتاب العربي – بيروت.

Twitter: @almosahm

- النكت والعيون (تفسير الماوري) – علي بن محمد الماوردي – بعناية سيد عبدالمقصود – مؤسسة الكتب الثقافية – دار الكتب العلمية.
- النهاية في غريب الحديث والأثر – أبو السعادات ابن الأثير – تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي – دار الباز – مكة المكرمة.

Twitter: @almosahm